مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 33، العدد (1)، ص ص 93 - 128، الرياض (2021م/1442هـ)

الشبهات حول جمع القرآن من كتاب (القرآن، نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة)

«دراسة نقدية»

محمد رضا الحوري[1]، وخلود محمد أمين الحواري[2]

جامعة اليرموك - جامعة طيبة

(قدم للنشر في 20/ 04/ 1441هـ؛ وقبل للنشر في 20/ 07/ 1441هـ)

المستخلص: يتناول البحث آراء المستشرق الإنجليزي وليام موير في كتابه (القرآن، نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة) حول مسألة جمع القرآن، ودراستها دراسة نقدية مؤسّسة علىٰ منهج علمي يسعىٰ إلىٰ الجمع بين صحيح النقل وصريح العقل في كشف أخطاء المؤلف العلمية، ومغالطاته المنهجية، وتلبيسه للحقائق وإيراده للشبهات. وقد وظّفت الدراسة كلًّا من المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي النقدي لتحقيق أهدافها. وقد توصلت الدراسة إلىٰ نتائج عدّة منها: أن الهدف الأبرز لعناية المستشرقين بدراسة موضوع جمع القرآن هو التشكيك بموثوقية القرآن الكريم في محاولة لنزع قداسته. وإن المنهج الأبرز في التأثير علىٰ موقف المستشرق موير من جمع القرآن هو المنهج الإسقاطي. فضلا عن التعصب المقيت الذي وجه آراءه، فأفقده الإنصاف في جوانب شتىٰ.

الكلمات المفتاحية: جمع القرآن، شبهات المستشرقين، وليم موير.

Suspicions about the collection of the Qur'an from the book (the Qur'an, its organization and teachings, and its testimony for the holy books) "Critical study"

Mohammad R. Alhawari[1], and Khulud M. Alhuwwary[2]

Yarmouk University - Taibah university

(Received 17/12/2019; accepted 15/03/2020)

Abstract: The research deals with the views of the English orientalist William Muir in his book (The Qur'an, its systems and teachings, and his testimony to the Holy Books) on the issue of collecting the Qur'an, and its study is a critical study based on a scientific method that seeks to combine the correct transmission with open mind in revealing the author's scientific errors, his methodological fallacies, and his confusion of facts. And his reference to the suspicions. The study employed both the inductive approach and the analytical and critical approach to achieve its objectives. The study reached several conclusions, including: The most important goal of the orientalists 'interest in studying the topic of collecting the Qur'an is to question the reliability of the Noble Qur'an in an attempt to de-sanctify it. The most prominent method of influencing the position of the Orientalist Muir towards collecting the Qur'an is the projective method. In addition to the despicable fanaticism that guided his views, thus losing him fairness in various aspects.

Key words: Collection of the Qur'an, Orientalists 'suspicions, (William Muir).

---

(1) أستاذ التفسير وعلوم القرآن في قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.

(1) Professor of Tafsir and Quranic Sciences- Department of usul aldeen- Faculty of Sharia- Yarmouk university-Irbid-Jordan.

البريد الإلكتروني: *e-mail: mhawari@yu.edu.jo*

(2) أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات القرآنية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة،المدينة المنورة.

(2) Associate professor of Tafsir and Quranic Sciences- Department of Quranic studies- Faculty of Education and human Sciences- Taibah university-ALMadina.

البريد الإلكتروني: *e-mail: khulud5576@yahoo.com*

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرفِ الخلق والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وبعد؛

فقد لقي موضوع جمع القرآن عناية بالغة، واهتماماً كبيراً في الكتابات الاستشراقية؛ فما من مستشرق صنّف كتابا حول القرآن إلا ونجد له حديثا عن جمع القرآن. ويرجع ذلك إلىٰ جملة من الأسباب من أهمّها أنهم وجدوا في هذا الموضوع منفذاً لإثارة شبهاتهم ومطاعنهم حول القرآن في محاولة منهم للتشكيك بموثوقية النص القرآني عند المسلمين قصداً لنزع قداسته وإبطال إعجازه. ومن هؤلاء المستشرقين (وليم موير) فقد عقد فصلاً خاصا للحديث عن جمع القرآن في كتابه (القرآن، نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة). وقد وقع في أثناء حديثه عن هذه المسألة في جملة من المغالطات والشبهات التي تَنِمُّ عن حقد دفين، وجهل مطبق.

مشكلةُ الدراسة وأسئلتُها:

تكمُنُ المشكلةُ الرئيسةُ في هذه الدراسة في الوقوف علىٰ أبرز الشبهات التي أثارها المستشرق الإنجليزي (وليم موير) حول جمع القرآن الكريم في مراحله الثلاث ونقدها نقداً علمياً؛ لما لكتابات المستشرقين -ومن أشهرهم (وليم موير) - من أثر جلي في دراسات الحداثيين والعلمانيين. وينبني علىٰ هذه المشكلة عِدَّةُ أسئلة هي:

1 - ما أبرز الشبهات التي أثيرت حول جمع القرآن من قبل (وليم موير)؟

2 - ما الدوافع الحقيقية وراء هذه الشبهات؟

أهدافُ الدراسة:

تهدِفُ هذه الدراسة إلىٰ تحقيقِ الأهدافِ الآتية:

1 - الكشف عن حقيقة المستشرق الإنجليزي (وليم موير)؟

2 - بيان الشبهات المثارة من قبل (وليم موير)؟حول جمع القرآن الكريم.

3 - إبراز الدوافع الحقيقية للمستشرقين في عنايتهم بموضوع جمع القرآن

4 - رد الشبهات المثارة حول جمع القرآن بمنهج علمي قائمٍ علىٰ النقل الصحيح والعقل الصريح.

حدود الدراسة:

دراسة نقدية لآراء المستشرق الإنجليزي (وليم موير)؟ حول جمع القرآن الكريم التي أوردها في كتابه: (القرآن، نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة).

الدراسات السابقة:

قامت عِدّةُ دراسات علمية حول المستشرق (وليم موير)؟ لكن لم تُفْرد دراسة خاصة لنقد آرائه

حول جمع القرآن الكريم. ومن هذه الدراسات:

1- كتاب القرآن وتعاليمه وشهادته للكتب المقدسة للمستشرق (وليم موير)، دراسة نقدية. للباحث: محمد سيف الدين عبد الجليل إسحاق، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 2014م.

عرضت الدراسة السابقة لمجمل الآراء والشبهات التي ساقها (وليم موير) حول القرآن وتعاليمه وعلاقته بالكتب المقدسة بالنقد والتحليل. وقد عقد الباحث مطلباً ضمن المبحث الثاني من الفصل الثاني من الرسالة بعنوان: (منهج المؤلف في الحديث عن جمع القرآن وترتيبه والرد عليه) وقد جاء هذا المطلب في عشر صفحات فقط.

وبعد قراءة هذا المطلب تبين لنا أمران: الأول: أنه مخصص للحديث عن منهج المؤلف في تناول موضوعيْ الجمع والترتيب، الثاني: أنه تناول في هذا الصفحات اليسيرة قضيتين كبيرتين هما الجمع والترتيب؛ مما يدلّ علىٰ عدم الاستيعاب في العرض والتحليل والنقد.

وتتميز دراستنا باستيعابها جميع الشبهات التي أثارها (وليم موير) في كتابه حول مسألة الجمع والرد عليها ردّا علمياً.

2- (المستشرق «ويليام موير» مبشراً) أو (إسهامات المستشرق «ويليام موير» في ميدان التبشير المسيحي في الهند إبان القرن التاسع عشر)، الباحث: حيدر مجيد حسين، كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة المثنىٰ، 1434هـ - 2013م.

3- المستشرق (وليم موير) وكتابه تاريخ دولة المماليك. الباحث: أ.د. فاضل جابر ضاحي، بحث ضمن أعمال المؤتمر العلمي السادس لجامعة واسط، منشور علىٰ موقع http: //www.almothaqaf.com

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة من جهتين:

أ- أن هذه الدراسة قائمة علىٰ نقد لما جاء في كتاب موير (القرآن، نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة) فحسب. وهو الأمر الذي لم تتناوله الدراسات السابقة بل اتجهت إلىٰ دراسات أخرىٰ لموير.

ب- أن هذه الدراسة تناولت موضوعا ذا صلة بالدراسات الاستشراقية حول القرآن الكريم؛ بينما الدراسات السابقة لم تعرض لهذه القضية؛ وإنما كان عملها علىٰ جوانب لا صلة لها بالدراسات القرآنية.

منهجُ البحث:

لتحقيقِ مقاصدِ هذا البحث سأتبع المناهجَ البحثيَّة الآتية:

1- المنهجُ الاستقرائي: ويتمثَّلُ في استقراءِ آراء (وليم موير) حول جمع القرآن التي أوردها في كتابه: (القرآن، نظمه وتعاليمه، وشهادته للكتب المقدسة).

2- المنهجُ التحليلي النقدي: ويتمثَّلُ في دراسةِ تلك الآراء، وتحليلِها، بغيةَ الوصولِ إلىٰ مقاصدِها وأغراضِها، ودوافعها، ثم نقدها نقدا علميا وبيان مواطن الخلل وجوانب الزلل.

خطة الدراسة:

وجاء البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

- **المقدمة:** فقد تناولت فيها أهمية الموضوع، ومشكلة الدراسة، وأهدافها، وحدودها، ومنهجيتها، والدراسات السابقة.
- **المبحث الأول:** التعريف بالمستشرق (وليام موير) وكتابه، وموقفه من النص القرآني، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: التعريف بالمستشرق (وليام موير) وكتابه.
  - المطلب الثاني: موقف (وليام موير) من النص القرآني.
- **المبحث الثاني:** موقف (وليام موير) من جمع القرآن، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ.
  - المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ.
  - المطلب الثالث: جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ.
- **الخاتمة:** وقد عرضنا فيها أهمَّ النتائج وأبرز التوصيات.
- **قائمة المصادر والمراجع.**

***

المبحث الأول

التعريف بالمستشرق (ويليام موير)، وكتابه، وموقفه من النص القرآني

وفيه مطلبان:

سنتناول في هذا المبحث التعريف بالمستشرق الإنجليزي وليام موير، من حيث نشأتُه ومؤلفاته ومكانته، وسنتحدث عن كتابه موضع الدراسة، كما سنعرض لموقفه من النص القرآني علىٰ النحو الآتي:

المطلب الأول: التعريف بالمستشرق (ويليام موير) وكتابه.

أولاً: التعريف بالمستشرق وليام موير.

(ويليام موير) Muir, Sir William-(1819-1905م \ 1234-1323هـ)، مستشرق اسكتلندي بريطاني، ولد في كلاسكو، تعلّم الحقوق في جامعتها، وعمل في الاستخبارات ثم تابع تعليمه في جامعة أدنبره ودرّس فيها، وكان مميزا في أدائه وتدريسه.

اشتغل في الإدارة المدنية في شركة هندية ثمّ استطاع بعدها أن يتولىٰ العديد من المناصب الإدارية الرفيعة حتىٰ صار السكرتير الخارجي لحكومة الهند

ونائب الحكومة في الولايات الشمالية[1].

وفي أثناء عمله موظفا في الهند التحق بجامعة هايليبري – ومع أنها لم تكن ذات طابع كاثوليكي صارم إلا أنها اختصت بإعداد المبشرين – وتعلم فيها اللغاتِ الشرقيةَ القديمة والسنسكريتية والفارسية، وتعلم العربية وأتقنها، وقد حاز جوائز متعددة في ذلك. كما تعلم حينها أصول الأديان، واهتم بدراسة التاريخ الإسلامي، ولكنه كان شديد التعصب للنصرانية؛ إذ عمل مبشرا بها مع البعثة التبشيرية في شمال الهند، وفي أثناء عمله التبشيري التقىٰ كارل بفاندر[2]. المشهور بهجومه علىٰ الإسلام، ودفاعه عن العقائد النصرانية آنذاك وتأثر به[3].

مؤلفاته:

أَلّفَ كتابا عن الخلافة والخلفاء عنونه في طبعته الأولىٰ (حوليات الخلافة) تحدّث فيه عن الخلافة من بداية عهد الراشدين حتىٰ نهاية الدولة الأموية، ثم نقّحه في طبعته الثانية وأضاف إليه عصر العباسيين بمصر وجعله بعنوان (الخلافة نشأتها وانحلالها وسقوطها)[4].

ثم أَلّفَ كتابا عن المماليك سمّاه (تاريخ دولة العبيد في مصر) تحدث فيه عن أسرة الرقيق التي حكمت مصر، متناولاً التاريخ الإسلامي من وجهة نظره، وعرضه للناس وفق فهمه وتصوّره، وعنوان كتابه – تاريخ دولة المماليك في مصر – لا ينطبق علىٰ المضمون بصورة دقيقة، فقد تتبع عهد المماليك من الناحية السياسية والعسكرية، ولم يتطرق للجوانب التاريخية إلا قليلا، ثم تناول أحداث بلاد الشام مع أنه

(1) المستشرقون، العقيقي (2/ 492)، موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، (ص578 –579)، الأعلام، الزركلي (5/ 124).

(2) مستشرق ومبشر أمريكي ألف كتاب ميزان الحق ورد عليه العلامة رحمة الله الهندي في كتاب إظهار الحق، المستشرقون والتنصير، النملة، (ص121).

(3) إسهامات المستشرق موير في ميدان التبشير المسيحي في الهند، حيدر حسين، (ص6). وقفنا علىٰ ما نقله محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ﷺ (ص34) والمتضمن ثناء علىٰ موضوعية هذا المستشرق، والذي اغتر به بعض الباحثين. إلا أن هذا المنقول علىٰ أنه ترجمة من كتاب حياة محمد لموير مخالف لما وجدناه في كتاب موير (القرآن نظمه وترتيبه) من جهة. ومن جهة أخرىٰ فهو لا يتفق مع ما ذكره=

=غيره حين قال: «ومن كل ذلك يحاول ميور الوصول تدريجيًّا إلىٰ نتيجة مهمة تتفق والفكرة الاستشراقية التي تقول بأن القرآن الكريم هو من صنع وإنشاء النبي محمد ﷺ. ثم يقول: «فالمتتبع لكتاب حياة محمد يكشف بأن مؤلفه يسعىٰ جاهداً لتصوير الوحي الشريف علىٰ أنه حدس كان يشعر به الرسول ﷺ ويتوهم بأنه الوحي...». ينظر: نظرة تحليلية في كتاب حياة محمد للمستشرق الإنجليزي وليم ميور. مشتاق الغزالي. مجلة السدير، العدد الأول، السنة الأولىٰ، 2003م، كليلة الآداب – جامعة الكوفة، (ص87).

(4) العقيقي، المستشرقون، (2/ 492).

حدّد مصر في العنوان؛ مما أدىٰ إلىٰ الإخلال ببعض المعلومات التي كان عليه أن يبرزها بصورة أفضل، وعرض خلال الكتاب للحملات الصليبية التي حدثت قبل دولة المماليك مع أنها لا علاقة لها بالعنوان، فضلا علىٰ أن الترتيب العام للكتاب لم يكن واضحا، والمؤلف لم يلتزم منهجا ثابتا أثناء عرضه بل وقع في بعض الأخطاء التاريخية[5].

كان لموير شهرة واسعة وذلك باعتباره من الباحثين الغربيين المشهورين في ميدان السيرة النبوية وتاريخ الخلافة الإسلامية، ولاسيما في كتابيه: حياة محمد، وحوليات الخلافة الإسلامية، وهذه الشهرة ليست بسبب كثرة المصنفات والدراسات التي خلفها فحسب، بل بسبب المنهج الذي اتبعه من حيث تغطيته لمجريات الأحداث التاريخية لشبه الجزيرة العربية منذ العهود المبكرة، وحتىٰ سقوط دولة المماليك جغرافيا ودينيا وسياسيا واقتصاديا، وبالاعتماد علىٰ المصادر الإسلامية الأصلية والأبحاث الغربية، لقد مثّل موير النزعة الكولنيالية[6] التبشيرية في نظرته إلىٰ الإسلام واعتباره ندا عنيفا لسياسة بلاده[7].

ومن أشهر ما ألّف موير كتاب شهادة القرآن علىٰ الكتب اليهودية والنصرانية عنونه بـ(شهادة القرآن لكتب أنبياء الرحمن) صنّفه بالإنجليزية، وما لبث أن تُرجم للأوردية. وحاول فيه أن يثبت شهادة القرآن بصحة التوراة والإنجيل بنصهما المتداول[8].

كما ألّف بعد الكتاب السابق كتابا عن سيرة الرسول ﷺ كانت مادته الأولىٰ مقالات متسلسلة نشرت في مجلة (كلكتا)، تناول فيها حال عرب الجزيرة قبل الإسلام وبعده وأحوال النبي ﷺ قبل وبعد الهجرة، وكان كتابا كبيرا من عدة أجزاء أسماه (حياة محمد وتاريخ الإسلام)، وصار فيما بعد من أهمّ المراجع المعتمدة في خطط التدريس في الجامعات الإنجليزية والهندية[9]. وضمن أهدافه المرجوة في عرض الإسلام بمفهومه الخاص ألف كتابه القرآن نظمه وتعاليمه - الذي تناولنا أحد فصوله في هذا البحث - وكتاب (الجدال مع الإسلام)[10]. وفي آخر

(5) ينظر: المستشرق وليم موير وكتابه تاريخ دولة المماليك. جابر فاضل، بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس لكلية التربية - جامعة واسط. منشور علىٰ موقع: http://www.almothaqaf.com/ بتصرف.

(6) الكولونيالية: «الاستعمار الاستيطاني المبني علىٰ التفرقة= اللونية». المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (1/ 318).

(7) ينظر: إسهامات المستشرق موير في ميدان التبشير المسيحي في الهند، حيدر حسين، (ص7). بتصرفٍ يسير.

(8) بدوي، موسوعة المستشرقين، (ص578).

(9) المرجع السابق.

(10) المرجع السابق

عهده تولىٰ رئاسة جامعة أدنبرة، وتوفي في أدنبرة في 11 تموز 1905م[11].

ثانيًا: التعريف بكتاب: القرآن نظمه وتعاليمه وشهادته للكتب السابقة.

يتكون الكتاب من جزأين: جعل المؤلّفُ الجزء الأول في ثلاثة فصول؛ الأول: القرآن يُشْرحُ بسيرة محمد ﷺ والثاني: جمع وترتيب القرآن والترتيب التاريخي التقريبي للسور، والثالث: تعاليم القرآن.

أما الجزء الثاني: شهادة القرآن لكتب العهدين القديم والجديد، بدأه بتمهيد ذكر فيه توقير القرآن للكتب السابقة، وترتيب السور. وذكر أنه وضع ترتيبا ارتآه لنفسه، وأشار إلىٰ أنه يحوي بعض التعارض إلا أنه بالجملة مقبول – في وجهة نظره- بعد ذلك عرض للقصص القرآني. وبين أنها متشابهة مع ما ورد في العهدين بل يرىٰ أن القرآن كرر ما في العهدين، ولعله استقىٰ القصص منهما، وأشار إلىٰ تسمية القرآن لليهود والنصارىٰ بأهل الكتاب في مواضع كثيرة.

ثم قسم الجزء الثاني من الكتاب إلىٰ ثلاثة أقسام: القسم الأول: الآيات من السور المنزلة في مكة. والقسم الثاني: الآيات من السور المنزلة في يثرب. والقسم الثالث: عبارة عن خاتمة ضمنها ثمانية أفكار أساسية هي خلاصة أفكاره عن القرآن وعلاقته بالكتب السابقة.

المطلب الثاني: موقف وليام موير من النص القرآني.

بالاطّلاع علىٰ ما كتبه وليام موير في كتابه يتجلىٰ لنا موقفه من النص القرآني في أنه:

1 – يرىٰ أن القرآن كتاب غيرُ واضح، وأنه أقلُّ شأنا من جميع الكتب المقدسة؛ لأنه يرىٰ أنه من تأليف محمد ﷺ فما القرآن إلا جهد بشري لمصلح اجتماعي حاول الإفادة من كتب العهد القديم، يقول: «لكنَّ الْقُرْآنَ إذا ما دُرِسَ بنفسه، فَإِنَّه علىٰ الأرجح من كلِّ الكُتب المُقَدَّسة الأقلّ وضوحًا. إنّ الْكِتَاب المُقَدَّسَ، رغمَّ أنّ الأحداث المتعلقة بأجزاء من نظمه، لا بل إنّ بعض الأسماء وتواريخ بعض الْكُتَّابِ غامضة في أحيان، فإنَّ المادة فيه مرتبة للغاية ونادراً ما تترك المعنىٰ محل شكٍ – بغضِ النّظر إنْ كانت أجزاءً قصصيّة أو وعظيّة –. أما الْقُرْآن، فإنّ الأمر علىٰ العكس، فرغم أنَّ الخطوطَ العامة لحياة المُؤلِّفِ معروفة بشكلٍ جيد، إلاَّ أنّه ككلٍّ محل تشوش، وغالبًا ما يكون المغزىٰ عسيراً علىٰ الفهم. إنَّ الأجزاء تتلو الأخرىٰ بدون أي تسلسل تأريخي، وإنَّ السّور نفسها غالبًا ما جُمعت من قطعٍ متفرقة بدون أيِّ اعتبارٍ لا للزمن ولا للموضوع»[12].

(11) المستشرقون، العقيقي، (2/ 492)، موسوعة المستشرقين، بدوي (ص579)، الأعلام، الزركلي (8/ 124).

(12) موير، القرآن نظمه وتعاليمه وشهدته للكتب المقدسة، ترجمة: مالك المسلماني، (ص7).

فهو بهذا الموقف يؤكد فكرة بشرية القرآن بطرق مختلفة، ويبني على هذا التصور معتقداته، ويتعامل مع القرآن على أساسه، كما يحاول أن يثبت هذا التصور لقرّاء كتابه. ومن الواضح أن هذا الموقف كان سببا لكثير من المغالطات التي بثّها؛ فيظهر خلال عرضه كأنه يثني ويمدح في حين هو في الحقيقة يسئ ويقدح. يقول: «في عمل يمتد على مدى سنوات عديدة ومؤسس على أحداث يومية متغيرة، ويحمل بشكل جلي جدا تأثير العقل الحي، فإنه يجب بحث المتناقضات، وهي بالتأكيد لا تنقص القرآن. إنّ التنافر والتنافر يتعارضان مع فكرة الوحي الإلهي، ورغم أنه يمكن أنّ أمرا وضعيّا قد حُذف أو عُدّل»[13].

ويقول: «إنّ بعضا من القطع القرآنية المفرطة في عاطفيتها هي على الأرجح من نظم محمد لنفسه قبل أن يؤمن بفكرة الوحي الموضوعي المطلق؛ بيد أن المؤمن القويم سيرفض هذه الفرضية بوصفها كفرا. وبرأيه فإن القرآن من البداية إلى النهاية يصدر عن القدير مباشرة»[14].

2- يطعن في ترابط القرآن صراحة، ويرى أن لا مجال لفهم القرآن المفكك إلا بمعرفة سيرة مؤلفه لأن أحداث السيرة هي التي ستبين لنا سبب التأليف، فيقول: «إن الأجزاء تتلو الأخرى بدون أي تسلسل تأريخي، وإن السور نفسها غالبا ما جُمعت من قطع متفرقة بدون أيّ اعتبار لا للزمن ولا للموضوع. ولهذا فمن أجل بلوغ فكرة واضحة بشأن غاية هذا النظم المفكك، ومعنى أقسامه المتعددة، فإن الأمر ممكن فحسب، بالارتباط مع دراسة حياة المؤلِّف. لتحقيق هذه النظرة، أقترح رسم مجمل شديد الإيجاز لخطوط سيرة محمد العامة، وأُلزم نفسي إيراد الآيات الضرورية لكي أشرح القرآن»[15]، ويقول: «لقد أعادت الهجرة إلى يثرب رسم المشهد، ومارست تأثيرا على طابع الآيات القرآنية التي نزلت هناك. لقد اختفى وثنيو مكة، واحتل مكانهم منافقو يثرب.... إلا أن الموضوع المعالج الأبرز في وحي يثرب المبكر كان الشعب اليهودي وديانته»[16].

ويمثل كلام موير السابق موقف جُلّ المستشرقين من القرآن الكريم فهم يرون أن ترتيب القرآن الموجود حاليّا مفتعل مضطرب، يعبر عن الروح الفوضوية التي كان عليها العرب في ذلك الوقت؛ ولذا حان الوقت - كما يقولون - لهجر هذا الترتيب، وإظهار ترتيب آخر يراعى فيه الزمن.

(13) موير، القرآن نظمه وتعاليمه وشهدته للكتب المقدسة، ترجمة: مالك المسلماني، (ص28).

(14) المرجع السابق (ص10).

(15) المرجع السابق (ص7).

(16) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص15).

ولا شكّ أن ما ذهب إليه موير وغيره ادّعاء باطل، وفرية واهية تظهر مدىٰ الجهل الذي وقع فيه المستشرقون، وبيان ذلك بإيجاز[17]:

1 – إن هدف المستشرقين من الدعوة إلىٰ إعادة ترتيب القرآن زمنيا نزع القداسة عن القرآن بادّعاء أن فيه اضطرابا وتناقضا ناتجان عن التحريف الذي طاله علىٰ مر الزمان.

2 – إن هذه الشبهة المثارة ناشئة عن ضعف المستشرقين بالعربية، ومباينة فطرهم للفطرة العربية والذوق العربي في إدراك أغراض الكلام ومراميه.

3 – إن هذه الشبهة تدل علىٰ جهل المستشرقين بأحوال العرب زمن نزول القرآن، وجهلهم بظروف التنزيل، وملابسات النزول.

4 – إن في تناول المستشرقين لهذا الموضوع تغييبـًا للمنهج العلمي الدقيق الذي أبدعته العقلية الإسلامية في نقد الروايات سنداً ومتنـًا. وعليه فمن المحال علىٰ المستشرقين أن يصلوا إلىٰ ترتيب صحيح للقرآن زمانيـًا وهم يجحدون الروايات الصحيحة.

وهناك العديد من العبارات التي تعكس وجهة نظر موير وتحيزه وعدم موضوعيّته في أثناء الحديث عن القرآن وعن رسوله الكريم، كقوله: «إن محمدا الآن يتخذ موقع الحاكم الثيوقراطي، والقرآن يوظف بحرّيّة لجعل أوامره عمومية. ما زالت كل كلمة تزعم أنها صادرة من الإله، وأنها موجهة إلىٰ ممثله في الأرض. إن الأوامر الروحية تمتزج بالقضايا الأخرىٰ، بيد أن الوحي صار أكثر فأكثر لسان حال حكومة النبي»[18] مع أن

(17) ينظر: آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن، دراسة نقدية، أحمد نصري، (ص188) وما بعدها.

(18) المرجع السابق، (ص17).

إن مصطلح الثيوقراطية: مصطلح يطلق علىٰ الشكل من الحكومة التي يكون أعضاؤها من الكهنة ورجال الدين، الذين لهم حق وضع الشرائع الدينية وتفسيرها، ويمارسون من خلالهم السلطة الزمنية والدينية جميعا، ويتمتعون بحق إلهي في الحكم، وبذلك فهم معصومون عن الخطأ في نظر أتباعهم الذين ينتمون إلىٰ ملتهم ويطيعونهم كطاعة الله. وقد عُرف هذا الشكل من الحكومات في كثير من الشعوب البدائية التي كانت تمنح زعماءها وحكامها منزلة الأنبياء والآلهة، فلهم حق الحكم بدون مناقشة أو معارضة؛ لأنهم معصومون، وعند اليهود حيث بدأ الكهنة فيهم يحللون ويحرمون ويغيرون في شرع الله كما يصور لهم الهوىٰ والحاجة، كما عرف هذا الحكم أيضا في أوربا في العصور الوسطىٰ؛ عندما كانت سلطة الكنيسة تسيطر علىٰ الملوك والأمراء، وتفرض عليهم الإتاوات، وتمنحهم البركة وصكوك الغفران، وزعمت أن لرجال الدين صلاحية إلهية في جوانب مختلفة من حياة الناس. وبعد هنا يتضح أن «الثيوقراطية» أو ما يسمىٰ بحكومة رجال التي وصف بها موير ما جاء به النبي ﷺ ليست من الإسلام في شيء. وذلك لأن نظام الحكم في الإسلام قائم علىٰ مبادئ عظيمة منها: مبدأ الشورىٰ ويعنىٰ به: مشاركة الأمة في صنع قرارات دولتها ومجتمعها، وإشراكها في حكم البلاد، فالأمة هي التي تملك حاكمها علىٰ شرط الأمانة والخضوع=

شخصا مثله ليس ملحدا، ويتبع دينا سماويا عليه أن يتقبل علىٰ الأقل فكرة وجود كتاب سماوي مرسل من لدن الله، ولكن كما أخبرنا القرآن ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (النمل: 14).

وتتجلىٰ خطورة ما جاء به موير في كتاباته في خوضه حرباً فكريّةً وتبشيريةً ضد الإسلام بمنهج متحايل، مؤسّسا لمنهج فريد من نوعه قائمٍ علىٰ اعتماد الثغرات المنهجية لمصنفي كتب السير، بغية إحداث حالة من الإرباك الفكري والعقدي لصورة الإسلام ونبيه ﷺ في أذهان المسلمين، ومن ثَمَّ تشويهها، باستخدام لغة أقل حدة، ونبرة أقل وطئا علىٰ مسامع المسلمين من النبرة الغربية التي كانت سائدة في القرون الوسطىٰ؛ لا سيما بعد أن فشلت جهود كثير من المستشرقين قبل موير في تحقيق هذا المسعىٰ، وبذلك يخيل لنا أن موير أعاد هيكلة الاستراتيجية الفكرية للكنيسة، وبات مؤسسا لمنهج جديد للتبشير المسيحي في عصره، زد علىٰ ذلك فإنّ تعمقه في قراءة أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي جعل من كتاباته معيارا لفهم وتحليل الأسس التي ترتكز عليها الحركات التجديدية الإسلامية ذات الصبغة السياسية المناهضة لسياسة بريطانيا، والتي تزامن ظهورها في القرن التاسع عشر بغية الإحاطة بالجذور الفكرية التي تغذيها، والاحاطة بالأدوات المنهجية التي سوف تعتمدها في تحقيق أهدافها[19].

* * *

المبحث الثاني

موقف موير من جمع القرآن

وفيه ثلاثة مطالب:

ينعقد هذا المبحث للحديث عن آراء المستشرق (وليم موير) في حديثه عن مراحل جمع القرآن. ثم نقد آرائه نقداً علمياً، وسنعرضها علىٰ النحو الآتي:

المطلب الأول: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ.

تحدّث (وليم موير) عن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وسنقسم كلامه إلىٰ مسائل ثم نرد علىٰ كل مسألة علىٰ النحو الآتي:

=لقانونها الأساسي، وتتوجه علىٰ هذا وتعلنه له، فيبقىٰ التاج علىٰ رأسه ما بقي هو محافظا أمينا علىٰ صون الدستور، أما إذا حنث وخان دستور الأمة، فإما أن يبقىٰ رأسه بلا تاج، أو تاجه بلا رأس.كما تعني الشورىٰ تكوين رأي عام إيجابي يعكس نظاما متكاملا للحكم بين القائد والشعب لا يفقد فيه أي من الطرفين حريته أو يمكنه أن يتهرب من مسئوليته. ينظر: موسوعة بيان الإسلام للرد علىٰ الشبهات والافتراءات، مجموعة من المؤلفين، (مج3)، (5/ 17) وما بعدها.

(19) ينظر: إسهامات المستشرق موير في ميدان التبشير المسيحي في الهند، حسين، (ص15).بتصرف يسير.

المسألة الأولىٰ: قوله بعدم جمع القرآن في كتاب واحد في عهد النبي ﷺ.

قال موير: «في حياة مُحَمَّد لم تجرِ محاولة لجمع الآيات الوفيرة الَّتي يتألف منها الْقُرْآن في كتاب واحدٍ»[20].

وما قاله موير حق أريد به باطل. أما الحق فهو قوله: بأنه لم تجرِ في حياة مُحَمَّد محاولة لجمع الآيات الوفيرة الَّتي يتألف منها الْقُرْآن في كتاب واحدٍ. وهو أمر معلوم عند الأمة؛ فقد توفي النبي ﷺ ولم يجمع القرآن بين دفتين. وهي مسألة ذكرها علماء علوم القرآن وبينوا أسبابها واعتباراتها[21]، وذكروا من الأدلة علىٰ عدم جمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ قولُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما اقترح عليه عمر رضي الله عنه جمع القرآن: (كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ)[22].

أما الباطل فهو قصده التشكيك بمسألة جمع القرآن من أصلها، ومن ثم البناء علىٰ ذلك ما شاء من أباطيل.

ونحن نقول: بأن القرآن لم يجمع في كتاب واحد؛ فالأصل ألا يجمع؛ لأن الرسول ﷺ ليس مؤلفا للقرآن كما زعم موير في عدة مواضع بل مبلغ عن ربه لوحي يوحىٰ لا يزال يلقىٰ إليه، وقد يحتمل نسخ بعضه بوحي أيضاً.

ومن هنا كان ترتيب نزوله مختلفا عن ترتيبه الذي بين أيدينا؛ إذ لو جُمع بين دفتين لأدّىٰ ذلك إلىٰ إشكال كبير، هذا من ناحية. من ناحية أخرىٰ فإن القرآن كان مجموعا في عهد النبي ﷺ في الصدور لقوله تعالىٰ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: 49)، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: 17)، فلكل زمن صورة من الجمع تلائمها، وهذه الصورة من الجمع (الحفظ في الصدور) كانت أكثر مناسبة وملائمة في العهد النبوي[23]. ومما يبرز ذلك أن النبي ﷺ كان يقدم في اللحد الأحفظ «عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلىٰ أحد في ثوب واحد، ثم يقول: (أيهم أكثر أخذا للقرآن)، فإذا أشير له إلىٰ أحدهما قدمه في اللحد، وقال: (أنا شهيد

(20) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص26).

(21) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (ص248-249).

(22) الجامع الصحيح، البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة:128). حديث رقم (4679)، (6/ 89).

(23) وتحسن الإشارة هنا إلىٰ أنّ النبي ﷺ قد عُنِيَ بكتابة القرآن وتدوينه منذ وقت مبكر من بعثته كما دلّت علىٰ ذلك شواهد متعددة. كما في حادثة إسلام عمر رضي الله عنه وقراءته سورة طه من صحيفة مكتوبة. ينظر: الروض الأنف، السهيلي، (3/ 163).

علىٰ هؤلاء يوم القيامة)، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم»[24].

فمن خصائص الأمة المحمدية حفظها كتابها فـ«الاعتماد في نقل القرآن علىٰ حفظ القلوب والصدور لا علىٰ حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالىٰ لهذه الأمة»[25].

فالحفظ خصوصية وميزة لهذه الأمة لا ينافسها فيها غيرها؛ فالصحابة كانوا أمة يضرب بها المثل في الذكاء والألمعية وقوة الحافظة وصفاء الطبع وسيلان الذهن وحدة الخاطر. وفي التاريخ العربي شواهد علىٰ ذلك يطول بنا تفصيلها،...وهذه خصائص كامنة فيهم وفي سائر الأمة العربية من قبل الإسلام ثم جاء الإسلام فأرهف فيهم هذه القوىٰ والمواهب، وزادهم من تلك المزايا والخصائص بما أفاد طبعهم من صقل، ونفوسهم من طهر، وعقولهم من سمو خصوصا إذا كانوا يسمعون لأصدق الحديث وهو كتاب الله، ولخير الهدىٰ وهو هدي محمد ﷺ[26].

(24) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة علىٰ الشهيد، حديث (1343)، (2/ 114).

(25) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (1/ 6).

(26) ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني، (1/ 292-293). بحذف وتصرف يسيرين.

المسألة الثانية: كتابة القرآن وأدواتها في عهد النبي ﷺ.

قال موير: «فكانت الآيات تدوّن من قبل صديقٍ أو تابع يؤدي مهمة الكاتب حين إلقاء الآيات من وقتٍ لآخر، أو كانت تُودع الذاكرة في البدء، وفي زمن لاحق بعض الشيء دُوِّنت. ولهذه الغاية فإنّه استعملت موادّ بدائيّة كان يستعملها العرب، مثل سعف النّخل، الجلود، ألواح الحجر، أو كتف الماعز أو الجمال. لَم يكنْ ثمّة من ترتيب منهجيّ لهذه المواد»[27].

ذكر موير في النص السابق احتمالات لكيفية تدوين القرآن زمن النبي ﷺ وقد جاء كلامه مشتملا علىٰ مغالطات كثيرة نبينها علىٰ النحو الآتي:

أولاً: قوله: إن الذي كان يتولىٰ عملية الكتابة صديق للنبي ﷺ أو تابع.

كلمة صديق هنا تحتمل الكافر والمسلم، وهذا أمر غير صحيح. فمن الثابت في كتب السير وكتب علوم القرآن أن كلَّ الذين كانوا يتوَلَّوْن عملية كتابة القرآن بين يدي النبي ﷺ هم من صحابته الكرام كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وعامر بن فهيرة، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وغيرهم[28]، وقد ذُكروا بأسمائهم، فما يوجد منهم أحد من غير المسلمين[29].

(27) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص26).

(28) ينظر زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، (1/ 113).

(29) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (9/ 22)، المدخل لدراسة=

ثانيـًا: قولـه: «أو تـابع يـؤدي مهمـة الكاتـب حـين إلقـاء الآيات من وقت لآخر».

هذا احتمال مـردود؛ لأنـه مـن الثابـت أنْ لا أحـد يؤدي مهمة أحـد، وقـد كـان لتوثيـق القـرآن خـصوصية؛ فقد ثبت عن النبـي ﷺ أنـه اتبـع نهجـًا ثابتـًا في تدوينـه وكتابته؛ فكان كلما نزل عليه شيء مـن القـرآن اسـتدعىٰ أحـدا ممـن كـان يكتـب ثـم يُمْلـي عليه[30] **فلـم** يكـن مـن منهج النبي ﷺ تأجيل كتابة القرآن حتىٰ وقت آخر كما ادّعىٰ موير، فضلا علىٰ أن المهمـة لـم تكـن تعطـىٰ لأي أحد بل لثلة خاصة معروفة موثوقة.

ثالثـًا: قوله: «أو كانـت تـودع الـذاكرة في البـدء وفي زمـن لاحق بعض الشيء دُوّنت».

هذا الاحتمال الذي ذكره موير لـم ينقله ولـم يقـل به أحد قبله؛ فهو من افتراءات موير التـي ابتـدعها. فمـن المقرر أن الوحي مـا يكـاد ينفـصل عـن رسـول الله ﷺ حتىٰ يستدعي النبي ﷺ أحدَ كتبـة الـوحي فيُمْلـي عليـه ما نزل من الوحي، «كان النبـي ﷺ إذا نـزل عليـه شـيء من القـرآن دعـا بعـض كتـاب الـوحي، فيأمره بكتابـة مـا نـزل، ويرشـده إلـىٰ موضـعه مـن سـورته، ولـم يجـاور الرسـول ﷺ الرفيـق الأعلـىٰ إلا والقـرآن كلـه مكتـوب مسطور»[31].

رابعـًا: قوله: «ولهـذه الغايـة فإنـه اسـتعملت مـواد بدائيـة كـان يـستعملها العـرب، مثـل سـعف النخـل، الجلـود، ألواح الحجر، أو كتف الماعز أو الجمال».

إن مــن أبــرز مــا يُؤخــذ علــىٰ المستــشرقين في دراسـاتهم القرآنيـة هـو التنـاقض في الآراء والمواقـف؛ ومـوير واحـد مـن هـؤلاء فهـو هنـا ينـاقض نفسه؛ إذ إنّـه

=القرآن الكريم، أبو شهبة، (ص265، 335).

(30) «فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا أنزلت عليه الآية قال لبعض من يكتب: (اجعلـوا هـذه الآيـة في سـورة كـذا وكـذا)». المعجـم الأوسـط للطبراني، (7/ 328)، حديث رقم (7638). و«عن عوف بـن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي، عن ابن عبـاس عـن عثمـان بـن عفان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة، دعا بعض من يكتب، فقال: (ضعوا هذه السورة في الموضع الـذي يذكر فيه كذا وكذا)». فضائل القرآن، ابـن سـلام، (ص280). وذكره المستدرك علىٰ الصحيحين، الحـاكم، كتـاب التفـسير، تفـسير سـورة التوبـة، حـديث (3272)، (2/ 360)، وقـال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
وقـد قـام الـدكتور عبـد الله الجـديع بتخـريج هـذا الحـديث ودراسته بشكل موسع في كتابه (المقدمات الأساسية في علـوم القـرآن) في (ص124)، هـامش رقـم (2) وخلـص إلـىٰ أنّ الحديث صحيح. قال: «حديث صحيح. أخرجه أحمد (رقم: 399، 499) وأبو داود (رقم: 786، 787) والتّرمذيّ (رقـم: 3086).... من طرق كثيرة عن عوف بن أبي جميلة الأعرابيّ، ففي الحديث نـص صـريح أنـه دعـا بعـض مـن يكتـب؛ أي أن هناك فئة خاصة معروفة فالكتبة كثر والعادة أن ينـادىٰ في كـل=

=مرة بعض مـن يكتـب لا أحـدهم وبالتـالي ثابـت في المـنهج النبوي توثيق القرآن أولاً بأول».

(31) أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن، (ص334).

ينصُّ علىٰ أن التدوين – الذي حاول نفيه أو التشكيك فيه في بداية الفقرة – كان غاية مقصودة آنذاك. والغايات يسعىٰ لها أصحابها.

وفي قوله السابق (لمز وغمز)، وهو محاولته التعريض بالأدوات المستخدمة في التدوين بأنها أدوات بدائية في إشارة إلىٰ المستوىٰ الحضاري للعرب بين الأمم. وملمح لانتقاص العرب، وتجريدهم من كلّ فضيلة إذا ما تمّت مقارنتهم باليهود والنصارىٰ. وهو أمر حرص المستشرقون علىٰ إبرازه في دراساتهم.

ونقول: مما لا شكَّ فيه أن الأدوات المذكورة كانت هي الوسائل المتيسّرة للكتابة في ذلك الزمن، والأمر الذي أخذه موير علىٰ الوسائل التي دُوّن عليها القرآن ينبئ عن فضيلة أصيلة للعرب؛ بأنها من أكثرُ الأمم حضارةً من حيث تعددُ الوسائل المستخدمة لأغراض التدوين. هذا من جهة. ومن جهة أخرىٰ تدلل علىٰ مدىٰ حرص المسلمين علىٰ تدوين النص القرآني بشتىٰ الوسائل، وكافة الأساليب المتاحة فحين كانت تنزل الآيات لم يكونوا ينتظرون أدوات خاصة، ومواداً بعينها حتىٰ يقوموا بتدوين الآيات النازلة عليها بل كانوا يبادرون إلىٰ أيّ وسيلة متاحة فيستخدمونها لذلك، حتىٰ لا تتأخر الكتابة، وفي هذا إبراز لبعض مظاهر حفظ الله ﷻ لكتابه.

فلما عزم الصحابة ﷺ علىٰ جمع القرآن بين الدفتين وجدوا وسيلة مناسبة متناسقة لكتابة القرآن عليها[32].

خامسًا: قولُه: «لَم يكنْ ثمّة من ترتيب منهجيّ لهذه المواد».

فإن كان يقصد أن هذه الأدوات التي كتب عليها القرآن لم تكن مرتبة بعضها في إثر بعض كما هو ترتيب المصحف اليوم فهذا صحيح. وإن كان يقصد عدم ترتيب النبي ﷺ لما فيها من الآيات والسور[33] فهذا أمر غير مقبول. فقد كان من منهجية النبي ﷺ في توثيق القرآن أنه كان بعد أن يُمْلي علىٰ الكاتب ما نزل، يبيّن لأصحابه مواضعَ الآيات من سورتها قائلا: ضعوا هذه

(32) حيث روي «أن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك، فأبىٰ حتىٰ استعان عليه بعمر ففعل، وكانت تلك الكتب عند أبي بكر حتىٰ توفي، ثم عند عمر حتىٰ توفي، ثم كانت عند حفصة زوج النبي ﷺ» تفسير القرآن من الجامع، لابن وهب (3/ 31) رقم: (48)، بسند صحيح عن تابعيين من أبناء الصحابة هما: سالم بن عبد الله بن عمر، وخارجة بن زيد بن ثابت. ومن طريقه ابن أبي داود، المصاحف (ص: 57).

(33) ولعله يقصد هذا إذ قال بعد فقرات معدودة: «بيد أن ثمة معضلة في القرآن فنحن لسنا متأكدين قط من السياق، فبينما بعض السور لاسيما القصيرة، والأجزاء الغنائية، والقصصية هي أكثر أو أقل كمالا يفترض أنها مدونة في صيغة تلاوتها أول مرة، فإنه يسود عبر المجموع إهمال كلي للتعاقب الزمني. فليس ثمة فواصل وفراغات مريعة فحسب، بل أن الآيات المتأخرة تسبق الأولىٰ بشكل ليس بالنادر. إن الآيات جمعت ببساطة ساذجة. وكان يكره إخضاع المواد للفحص البشري لقداستها». القرآن نظمه وتعاليمه، موير (ص27).

الآيات في سورة كذا[34]؛ ومن هنا انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي[35] كما ذهب أهل التحقيق إلى أن ترتيب السور توقيفي كذلك[36].

---

(34) فكان إذا نزل عليه الشيء من القرآن دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وإذا نزلت عليه الآية فيقول: «ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا». سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، حديث (3086)، (ج5/ 272). قال: حديث حسن.

(35) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (1/ 193).

(36) ومن الأدلة النقلية والعقلية على أنّ ترتيب السور توقيفيّ ما يأتي:

من الأدلة النقلية:

ورود أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تشير إلى الترتيب الذي في المصاحف اليوم منها: قوله ﷺ: (اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَان). وعن عبد الرحمن ابن يزيد بن قيس قال: (سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، والأنبياء إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي)،رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، برقم (4610).

ما صحت به الروايات الصحيحة بأن النبي ﷺ كان له ورده اليومي من كتاب الله ﷻ يحرص على قراءته حتى يختم القرآن بين الحين والحين، وَفْق تحزيب معين للقرآن الكريم كما في حديث وفد ثقيف، وكان للصحابة الكرام ﷺ أورادهم اليومية، وتحزيبهم كذلك للقرآن وفق هديه ﷺ كما أشار حديث وفد ثقيف وغيره إلى ذلك، حيث جاء فيه: (قُلْنَا: مَا أَمْكَثَكَ عَنَّا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنْ الْقُرْآنِ فَأَرَدْتُ أَنْ لا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ، قَالَ: فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ= =رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحْنَا، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ ثَلاثَ سُوَرٍ، وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ، وَتِسْعَ سُوَرٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبَ الْمُفَصَّلِ مِنْ قَافْ حَتَّى يُخْتَمَ)، وكل ذلك يستلزم منه أن يكون له ترتيب محدد. رواه أبو داود، برقم (1185)، وابن ماجه، برقم (1335)، وأحمد، برقم (15578)، وقال يحيى بن معين كما في عون المعبود (4/ 270): إسناد هذا الحديث صالح.

ومن الأدلة العقلية:

ما ذكره طه عابدين طه أن اختلاف ترتيب بعض السور المتجانسة في القرآن بأنها لم ترتب متوالية، فلو كان الأمر اجتهادياً لروعي فيه هذا الجانب إذ الاجتهاد يقوم على جمع المتجانسات والمتماثلات بعضها على بعض، فلم توضع السور المتشابهة في مطالعها بجوار بعض إلا الحواميم.ثم إنّ الناظر في ترتيب السور في المصحف لا يمكن أن يقف على قاعدة تظهر كيفية ترتيب السور فيه؛ مما ينفي أن يكون ترتيبها بالاجتهاد.

إنَّ الذي يتدبَّر في وَضْع السور في المصحف يجدها في غاية الإحكام والاتساق والتناسب، فإنَّ بعضها آخذ برقاب بعض، فكل سورة تجمعها وجه مناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ومكملة لمقاصدها وموضوعاتها، في صورة تحمل الكثير من روائع الإعجاز، بما يؤكد أنه توقيفي صادر عن حكيم عليم، فوق أن يُرَدَّ ذلك لاجتهاد بشري وقال الزركشي: «لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم أحدها بحسب الحروف كما في الحواميم، وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة، وثالثها للوزن في اللفظ كآخر تبت وأول الإخلاص، ورابعها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل والضحى وألم نشرح. الزركشي، البرهان في علوم القرآن. هذه بعض من الأدلة التي أوردها العلماء على أن ترتيب السور في القرآن توقيفي، ومن أراد الاستزادة=

ثم قال: «ولـم يكـن ثمّـة مـن مكـان خـاصٍّ لهـذه المـواد؛ لكـن لـدينا سـبب للاعتقـاد أنَّ الجـزء الأكـبر، وعلـىٰ الأقـل الـسُّور الأكثـر أهميّـة، كانـت محفوظـةً في سكنىٰ إحدىٰ زوجـات الْنَّبِيّ (الَّـذي لـم يكـن لـه غرفـةٌ مـستقلّة أو دار إقامـة خاصّـة بـه)، أو أنّـه تـرك في رعايـة الْكُتَّاب أو مَنْ دوّنوا في البدء. وعـلاوة علـىٰ ذلـك، فإنّـه أُستودع بتـوقيرٍ ورعٍ في ذاكـرة النّـاس؛ وإن نـسخ العديـد مـن الـسّور أو الأجـزاء، سِيَّما تلـك الأكثـر تـلاوةً لـدىٰ المناسـبات المعتـبرة، ومـن أجـل العبـادة العامـة أو الخاصّـة، كانـت وحتىٰ قبـل الهجـرة بحيـازة أشـخاص كثرٍ، قد حُفظت بعناية دينية وحتىٰ مفرطة. وما إنْ انتشر الإِيمَان، فإِنَّ المعلمين أُرسلوا إِلَـىٰ مختلف القبائـل في أنحـاء الجَزِيْـرة العَرَبِيّـة لتعليم المهتـدين الجـدد قواعـد الإِسْلاَم؛ وقد حملوا هؤلاء معهم الآيات الأساسيّة. إما في صيغةٍ مسجلةٍ أو علىٰ ظهر قلبٍ بشكلٍ لا يُمحىٰ (إذْ كانَ العرب يملكون حافظة ذات قدرة مذهلة)»[37].

لقـد وقـع مـوير في الـنص الـسابق في مغالطـات عديدة؛ إذ ذكر عدة احتمالات لبيان واقع الوسائل التي دُوِّن عليها القرآن، نوضحها علىٰ النحو الآتي:

- قوله: (ولـم يكـن ثمّـة مـن مكـان خـاصٍّ لهـذه المـواد؛ لكـن لـدينا سـبب للاعتقـاد أنَّ الجـزء الأكـبر، وعلـىٰ الأقـل الـسُّور الأكثـر أهميّـة، كانـت محفوظـةً في سكنىٰ إحدىٰ زوجـات الْنَّبِيّ (الَّـذي لـم يكـن لـه غرفـةٌ مستقلّة أو دار إقامة خاصّة به).

نقول: لا يملك موير ولا غيرُه دليلاً علىٰ ما ذكره من عدم وجود مكانٍ خاص كانت توضع فيه الوسائل التي كتب عليها القرآن في مكة والمدينة. وعلىٰ فرض عدم وجود مكان خاص لذلك كما ادّعىٰ موير فهذا لا يشكل مطعناً في حفظ القرآن؛ إذ من المعلوم بداهة أن وسيلة الحفظ الرئيسة للقرآن هي حفظه في الصدور، وإنما جعلت الكتابة بمنزلة الشاهد علىٰ الصحة فحسب. ثم لم يكن هناك خوف علىٰ القرآن من الضياع؛ فالموحَىٰ إليه - عليه الصلاة والسلام - بين ظهرانيهم.

كما يجب التنبيه علىٰ أن آخر كلام موير ينقضُ أوّلَه؛ فهو يقرر في مطلع كلامه بأنه لم يكن ثمة مكان خاص لهذه المواد ثم يذكر أن الجزء الأكبر وعلىٰ الأقل السور الأكثر أهمية كانت محفوظة في إحدىٰ بيوت زوجات النبي ﷺ. وهذا تناقض ظاهر.

=فليراجع الدراسة الآتية فإنّ فيها جمعـًا وافيـًا للأقوال والأدلة مع الترجيح والمناقشة وهي: (ترتيب سور القرآن، دراسة تحليلية لأقوال العلماء، طه عابدين طه، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية، بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد 9، السنة 5، 6).

(37) ويليام القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص26). - والأقواس داخل إشارات التنصيص هكذا وردت في نص الكتاب وهي بمثابة جملة معترضة -.

- في كلام موير السابق مغالطة أخرىٰ تتمثل في جعله بعض سور القرآن أكثر أهمية من بعضها الأخر، وأن هذه السور الأكثر أهمية هي التي تم حفظها في بيوت أزواج النبي ﷺ.

ولنا أن نتساءل ما الدليل الذي اعتمد عليه موير في تقسيمه هذا؟ ثم لنا أن نتساءل ما السور الأكثر أهمية التي تمّت العناية بها؟ وما السور الأقل أهمية؟

في تقديرنا أن موير لا يملك إجاباتٍ واضحةً عن الأسئلة المطروحة؛ مما يجعلنا مطمئنين إلىٰ القول بأن ما قاله موير إلا تخرّصات وظنون وأوهام حمله عليها الجهل والحقد. وكما قال الشاعر:

والدعاوىٰ ما لم يُقيموا عليها * بيّنات أبناؤها أدعياءُ

- كما لا بدّ من التنبيه علىٰ ما جاء في كلام موير من أنّ الوسائل التي كتب عليها القرآن كانت تحفظ في إحدىٰ بيوت زوجات النبي ﷺ؛ إذ لم يكن للنبي ﷺ غرفة مستقلة أو دار إقامة خاصة.

نقول: إن موير يخلط بين الحقائق ولا يميز بينها؛ فمن المعلوم بداهة من سيرة النبي ﷺ أنه كان له بيت يقيم فيه في مكة قبل الهجرة، كما كان له ﷺ عدة بيوت (حجرات) في المدينة المنورة وقد سمّاها القرآن (بيوت النبي). وهذا من موير جهل فظيع بسيرة النبي ﷺ، وفيه مغمز خفي بنسبة عدم الاستقرار في حياة النبي ﷺ وشخصيته. هذا أمر؛ وأمرٌ آخر دال علىٰ جهل موير بسيرة النبي ﷺ هو أن النبي ﷺ لم يتخذ عدة زوجات إلا بعد هجرته، فقد أمضىٰ الشطر الأكبر من حياته ﷺ مع زوجة واحدة. ولما اتخذ النبي ﷺ أكثر من زوجة أصبحت بيوتهن جميعا محلاً لإقامته ودوراً لاستقراره. وكانت هذه البيوت (الحجرات) ملتصقة بالمسجد مكان قرارات الأمة وإدارة شؤونها.

- قوله: «أو أنّه ترك في رعاية الْكتَّابِ أو مَنْ دوّنوا في البدء. وعلاوة علىٰ ذلك، فإنّه أُستودع بتوقير ورع في ذاكرة النّاس؛ وإن نسخ العديد من السّور أو الأجزاء، سِيَّما تلك الأكثر تلاوةً لدىٰ المناسبات المعتبرة، ومن أجل العبادة العامة أو الخاصّة، كانت وحتىٰ قبل الهجرة بحيازة أشخاص كثرٍ، قد حُفظت بعناية دينية وحتىٰ مفرطة».

يتحدّث موير في النص السابق عن أحد احتمالات حفظ ما كُتب من القرآن، ويرىٰ أنه يمكن أن يكون قد (ترك في رعاية الْكتَّابِ أو مَنْ دوّنوا في البدء) ولا شكّ أن هذا مثالٌ جليّ علىٰ اضطراباته وتناقضاته فهو قد شكّكَ في بداية حديثه بوجود كُتَّابٍ متوافرين علىٰ كتابة القرآن عند نزوله، ثم هو يثبت - هنا - وجود كاتبين للقرآن من المحتمل بقاء القرآن المكتوب عندهم!!!

- أما قوله: «وعلاوة علىٰ ذلك، فإنّه أُستودع بتوقير ورع في ذاكرة النّاس؛ وإن نسخ العديد من السّور

أو الأجزاء، سِيَّما تلك الأكثر تلاوةً لدىٰ المناسبات المعتبرة، ومن أجل العبادة العامة أو الخاصّة، كانت وحتىٰ قبل الهجرة بحيازة أشخاص كثر، قد حُفظت بعناية دينية وحتىٰ مفرطة».

فنقول: مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم قد حظِيَ بعناية فائقة لم يلْقها كتاب في الدنيا علىٰ مرّ العصور، وإنّ هذه العناية ما هي إلا مظهر من مظاهر وعد الله الصادق بحفظ كتابه من أيّ تبديل أو تغيير؛ لذا فإنّ حديث موير عن هذا الجانب الذي حظي به القرآن الكريم وتسجيله لهذه الخصيصة ما هو إلا وصف لحقيقة تاريخية، وواقع صادق لا يملك المرء أمامه إلا التسليم والإذعان.

وإننا نلحظ في نصّ موير استغراباً شديدا بهذه العناية، وفي تقديرنا أن الذي حمله علىٰ ذلك واقع الكتاب المقدس الذي يدين به؛ فهو يدرك أيّ عبث طال الكتاب المقدس بعهديه.

ومع إقراره بالحقيقة السابقة غير أنّ كلامه لم يسلم من مغمز؛ إذ جعل هذه العناية منصبّة علىٰ الآيات (الأكثر تلاوةً لدىٰ المناسبات المعتبرة، ومن أجل العبادة العامة أو الخاصّة). ولا نعلم من أين جاء بهذا الكلام؟

وهل كانت هناك آيات وسورٌ مخصوصة بمناسبات معيّنة؟؟!!!

ولا نعلمُ أن النبي ﷺ قد أمر بتخصيص سور بمناسبات معينة، إلا أنه يمكن أن يفهم ذلك من تكرار تلاوته ﷺ لبعض السور في صلواتٍ معينة، كقراءته لسورتي السجدة والإنسان في فجر الجمعة، ووالأعلىٰ الغاشية في صلاة العيدين. وهذا وإن كان صحيحاً فيجب العلم أن جميع هذه السور مكية ولم تكن هناك صلاة جماعة ولا عيدين في مكة، هذا من جهة. ومن جهة أخرىٰ لنا أن نتساءل ما نسبة هذه السور المخصوصة بمناسبات معينة من سور القرآن الأخرىٰ؟ إن ما جاء به موير محض افتراء لا يقوم علىٰ برهان.

وعلىٰ فرض وجود آيات وسورٍ كانت تتلىٰ في مناسبات خاصة فلنا أن نتساءل عن سبب الاهتمام بها دون غيرها؟ مع أن المنطق يفترض أن ينصبّ الاهتمام علىٰ غيرها كون هذه الآيات والسور تتلىٰ في مناسبات يعلمها الناس وتكون محفوظة عندهم.

كما أن النص السابق لم يخلُ من إشارة إلىٰ تناقضات موير في حديثه عن تاريخ القرآن؛ فقد أقرّ في النص السابق بوجود نسخٍ متعددة من آيات القرآن المكتوبة عند كثير من الصحابة، وهو أمرٌ كان قد شكّك بوقوعه في ما ذكره آنفاً.

المسألة الثالثة: حديثه عن ترتيب الآيات والسور في عهد النبي ﷺ.

قال موير: «ومن المحتمل أنَّ الجزء الأكبر من

الوحي كانَ مرتّبًا خلال حياة النَّبِيّ، ومتداولاً في هذه الصيغة لأجل القراءَة الخاصّة، ولأجل التلاوة في الصلوات اليوميّة. وبعضُ السّور كان قصيراً، ومنفرداً؛ وكانت أخرىٰ، أكثر طولاً، وفي أوقاتٍ مختلفةٍ كان يُضاف إليها حسب أمر مُحَمَّد، الَّذي كان يأمر بأن توضع آيةٌ محدّدة في سورة ما»[38].

في الواقع كانت كل سور القرآن مميزةً، وواضحة المعالم، وكان كل الوحي مرتبا في حياة رسول الله ﷺ بدليل ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتىٰ طعن بإصبعه في صدري، فقال: «يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟)[39].

وبدليل حديث مراجعة الوحي السنوية مع جبريل عليه السلام فعن فاطمة بنت رسول الله قالت: (حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في هذا العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي)[40].

فهذه النصوص وغيرها فيها الدليل البيّن علىٰ أنّ القرآن كان مرتّب السور والآيات في عهد النبي ﷺ هذا أمر؛ وأمر آخر أن في النصوص السابقة وغيرها إشارةً جليّة علىٰ أن سور القرآن جميعها كانت مميّزة الحدود، واضحة المعالم، محددة الأركان. لكل سورة اسمها الخاصُّ بها. وقد كان النبي ﷺ يبيّن ذلك للصحابة وعنه أخذ الصحابة رضي الله عنهم هذه الأمور. وعليه فإنّه لا توجد سورٌ واضحة المعالم وأخرىٰ غامضة كما ادّعىٰ موير.

وإنّ ادّعاء موير بوجود سورٍ خاصّة للقراءة وأخرىٰ للصلوات أمرٌ لا يقومُ علىٰ برهانٍ صحيح أو دليل واضح. بل الواقع يدلّنا أنّ القرآن كلّه كان متلوّا في جميع الأوقات وجميع الصلوات دون أن يكون هناك تخصيص لسورٍ بعينها للصلوات أو للقراءة.

وإنّ من أبرز المغالطات التي جاء بها (موير) قوله عن القرآن بأنه كان «يضاف إليه حسب أمر محمد» وهذا يحتمل أمرين: الأول: أن يكون مرادُه أن ترتيب القرآن تمّ بأمر النبي ﷺ وتوجيهاته دون أن الرجوع للوحي؛ والحق بأن ترتيب النبي ﷺ لسور القرآن وآياته كان بناءً علىٰ وحي الله له بذلك لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة: 17-18) فلا يملك النبي ﷺ في شأن القرآن إلا الاتباع. كما يحملُ قولُه ردّا علىٰ ما ادّعاه من عدم ترتيب

(38) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص26).

(39) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، حديث (567)، (1/ 396).

(40) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، حديث (2450)، (4/ 1904).

القرآن، فكلامه يدل على أن القرآن رتب كله بأمر رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ولم يكن فيه اجتهاد بشري لأحد.

الثاني: أن يكون مراده أن يبين أنّ النبي ﷺ كان يملك أن يضيف إلى القرآن أو يحذف منه ما يشاء. ولا شكّ أنّ هذا القول منه ادّعاء باطل، وحجة داحضة. وافتراء على رسول الله واتهام له بأنه كان يتصرف في القرآن من عند نفسه. إنه لم يذكر دليلا صحيحا ولا ضعيفا يُؤيد به زعمه، والصواب خلاف ذلك تماما؛ لأنه ﷺ لم يكن له أي تصرّف في متن القرآن إلا بما يُؤمر به، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: 18)، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة: 67)، وقوله: ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ﴾ (يونس: 15)، ويقول: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ (الحاقة: 44-46) فزعمه هذا افتراء على القرآن والتاريخ والنبي، الذي لم يكن تصرّفه في القرآن إلا في تدوينه وتحفيظه وتعليمه، وتبيين ناسخه من منسوخه بأمر من ربه. فالقرآن إذا لم يتعرض إلى التحريف أبدا[41].

(41) ينظر: أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ، علال، (ص130). وينظر: كتاب النّبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، (ص49) وما بعدها.

المسألة الرابعة: حديثه عن وجود سور قرآنية مميزة لأجل القراءَة الخاصّة.

قال موير: «وكان يوجد فعليـًا سورٌ مميزة»[42]. وقال: «لكن لدينا سبب للاعتقاد أنَّ الجزء الأكبر، وعلى الأقل السُّور الأكثر أهميّة، كانت محفوظةً في سكنى إحدى زوجات النَّبِيّ».

هذا القول دليل على عدم إدراكه لحال المسلمين وواقعهم، وجهله بقيمة القرآن وطبيعته، إذ لم يدرك أن هذا الكتاب وحي من عند الله، أنزله الله ليكون رسالته الخاتمة إلى خلقه، ومن هنا فإنه لا يوجد جزء من القرآن أكثر أهمية من الجزء الآخر. فالقرآن كله بالمنزلة نفسها. كما لا يجوز تفضيل أو تمييز لبعضه على الآخر.

قال الطبري: «وغير جائز أن يكون من القرآن شيء خير من شيء، لأن جميعه كلام الله، ولا يجوز في صفات الله تعالى ذكره أن يقال: بعضها أفضل من بعض، وبعضها خير من بعض»[43].

(42) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص26).

(43) جامع البيان، الطبري، (2/ 483). وقد عدّ الإمام الباقلاني عدم التفاوت في نظم القرآن وجها من وجوه إعجازه يقول: «وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه...على حدّ واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه=

وقد ذكر الزركشي هذه المسألة وآراء العلماء فيها فقال: «وقد اختلف الناس في ذلك فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلىٰ أنه لا فضل لبعض علىٰ بعض؛ لأن الكل كلام الله، وكذلك أسماؤه تعالىٰ لا تفاضل بينهما. وروي معناه عن مالك. قال يحيىٰ بن يحيىٰ تفضيل بعض القرآن علىٰ بعض خطأ. وكذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها. احتجوا بأن الأفضل يشعر بنقص المفضول. وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه»[44].

=وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة فرأينا الإعجاز في جميعها علىٰ حد واحد لا يختلف. ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو علىٰ نهاية البلاغة وغاية البراعة فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر لأن الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير عند التكرار وعند تباين الوجوه واختلاف الأسباب التي يتضمن». ينظر: إعجاز القرآن الكريم، الباقلاني، (ص36-38).

(44) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، النوع الثامن والعشرون: هل في القرآن شيء أفضل من شيء، (1/ 438).

وقد وقع خلاف كبير بين العلماء المتقدمين حول هذه المسألة كما ذكر الزركشي. وقد بسط هذه المسألة وناقشها بأدلتها ابن تيمية ﵀ في رسالة له بعنوان: (جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن)، تحقيق أبو عمر الندوي، دار القاسم، الرياض، ط1، 1996م. ولما كانت المسألة طويلة الذيول، متشعبة المسالك، والمقام يضيق عن ذكر ذلك كله؛=

المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﵁.

بعد أن تحدّثنا في المطلب الأول عن آراء موير عن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ فسنتناول في هذا المطلب حديث موير عن جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﵁ مقسّمين ذلك إلىٰ مسائل:

المسألة الأولىٰ: حديثه عن حال القرآن عند وفاة النبي ﷺ.

قال موير: «كان ذلك هو حال الأشياء لدىٰ وفاة مُحَمَّد، وقد بقيت كذلك علىٰ مدار سنة»[45].

يتكلم موير هنا عن حال القرآن عند وفاة النبي ﷺ وأنه بقي مفرقا في السطور محفوظا في الصدور دون جمعه في مكان واحد. نقول: إن ما يشير إليه موير أمرٌ مقرّر معروف من تاريخ القرآن الكريم؛ إذ لم تظهر حاجة لجمع القرآن بين دفتين؛ فوجود الجمِّ الغفير من الحفظة مع أمن الفتنة، وبقاء المجتمع إجمالا علىٰ الحالة التي تركه عليها رسول الله ﷺ كل ذلك أدّىٰ لانتفاء الحاجة لجمعه.

=فإننا نحيل إلىٰ رسالة ابن تيمية للاطلاع علىٰ الأقوال وأدلتها. مع الإشارة إلىٰ أن ابن تيمية تبنىٰ عكس الرأي المذكور في المتن وهو الرأي الذي ذهب إليه الطبري وابن عبد البر وعدد من العلماء.

(45) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص26).

المسألة الثانية: حديثه عن الأسباب الدافعة إلىٰ جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ.

يقول: «وبعد معركة الْيَمَامَةِ، والَّتي قُتل فيها العديد من قرّاء الْقُرْآن، فإنَّ خطر ترك الوحي في هذه المجموعة المضطربة أصبح ماثلاً بقوة في ذهن عمر، الَّذي ذهب إِلىٰ الخليفة أبي بكر، وقال له: «إِنَّ القتلَ قَد استحرَّ بالقرّاءِ، وإِنّي أخشىٰ أنْ يستحرَّ القتلُ بالقرّاء في سائرِ المواطن فيذهب القرآنُ، وقد رأيت أنْ تجمعوه». وقد تفّهم أَبو بكرٍ حكمة هذه النّصيحة؛ فعيّن زيدَ بنَ ثابت، رئيس كتبة الْنَّبِيّ ﷺ، لهذه المهمة»[46].

أولاً: يلحظ علىٰ ما ذكره موير عن الأسباب الدافعة لجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ أن فيها تحريفاً للحقائق، ودسّا للسمّ في العسل. فقد بيّن أنّ السبب وراء اقتراح عمر ﷺ لجمع القرآن هو (خطر ترك الوحي في هذه المجموعة المضطربة) بعد قتل القرّاء في اليمامة.

ويظهر جليا هنا أنّ في هذا تلاعباً بالنصوص، وتحميلاً لها ما لا تحتمل، وإقحاماً لفهمه الشخصي في قراءتها وتحليلها؛ ومما لا ريب فيه أن هذا مخالف لأيسر قواعد البحث العلمي؛ فالمطّلع علىٰ النص الصحيح المتحدث عن جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ[47] لا يجد فيه ذكرا لاضطراب في مجموعة القرآن كما ادّعىٰ موير، بل كان الأمر جليا في بيان السبب الدافع إلىٰ جمع القرآن في نسخة مكتوبة واحدة

(46) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص26).

(47) أخرج البخاري بسنده أن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ – وكان ممن يكتب الوحي – قال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرىٰ أن تجمع القرآن»، قال أبو بكر: قلت لعمر: «كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟» فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتىٰ شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأىٰ عمر، قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، «كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ»، فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: «كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي ﷺ؟» فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف، والعسب وصدور الرجال، حتىٰ وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ (التوبة: 128) إلىٰ آخرهما، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتىٰ توفاه الله، ثم عند عمر حتىٰ توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر». الجامع الصحيح، البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:128) «من الرأفة»، حديث (4679).

وهي خشية ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفظته.

ولنا أن نقول: إن خشية عمر ﷺ من ضياع شيء من القرآن التي دفعته إلىٰ هذا المقترح لم تكن لعدم علمه بأنّ الله تكفّل بحفظه في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ (الحجر: 9)، وإنما كانت لمنح القرآن مزيدا من التوثيق والعناية؛ حتىٰ لا يطرأ علىٰ القرآن شبهة نقص أو تحريف، فأراد إيجاد نسخة مكتوبة تجمعُ عليها الأمّة كلها لتكون شاهد صدق وحجة قاطعة علىٰ سلامة القرآن من أيّ تحريف أو تبديل أو نقص.

فعمر ﷺ استشرف المستقبل؛ وكان عنده فقه في المآلات؛ فخشي علىٰ القرآن مع يقينه بحفظ الله له فأراد أن يسير مع سنن الله في كونه، وأن يأخذ بالأسباب؛ فاقترح ذلك علىٰ خليفة رسول الله باعتباره السلطة آنذاك، ولو لم يفعل لوجد موير ومن علىٰ شاكلته في عدم فعل الصحابة ذلك في الصدر الأول حجة لنفث سمومهم.

ومما سبق يتبين لنا أن ما زعمه موير لم يكن يخطر ببال عمر ﷺ البتة. ولا حاجة هنا للتخمين أو إعطاء الاحتمالات؛ فقد صرّح عمر بما يريد، فضلا علىٰ كون القرآن غير قابل للضياع فقد تكفل الله بحفظه.

كما نقول إن جمع أبي بكر يعدّ الجمع الأول للقرآن – مرتبا علىٰ هيئة واحدة – لكن هذه أولية خاصة من حيث التحري والضبط والموافقة الإجماعية من الصحابة، والجهود الجماعية وإلا فبعض الصحابة كانت عندهم نسخ مكتوبة سواء لكل القرآن أو بعضه ولكن تلك كانت نسخاً خاصة بجهود فردية خاصة.

المسألة الثالثة: حديثه عن طريقة زيد ﷺ في جمع القرآن.

يقول: «وبهذا فإنَّ زيداً بحث عن مختلف سور وأجزاء الْقُرْآن في كلِّ مكانٍ، فجمعه (من الرّقاع والعسب واللّخاف وصدور الرّجالِ)»[48].

يوهِم كلامُ موير السابق أنّ القرآن كان مفرّقا في مواضع كثيرة وأمكنة متعددة، وأنّ زيداً كان يعاني في العثور علىٰ هذه الأجزاء المتفرّقة، كما يوهم الكلام السابق أن زيدا قام بهذا الأمر منفردا دون أن يشاركه في ذلك أحد. وهذا الذي ذكره موير باطل.

أما الأمر الأول: فزيد ﷺ لم يبحث في كل مكان، بل جلس في المسجد هو وعمر ﷺ وجاءتهم الصحف من الصحابة، ولم يكن شيء من القرآن مفقودا أو ضائعا حتىٰ يبحث عنه زيد؛ فزيدٌ والصّديقُ وعمر وغيرهم كثير كانوا من حفظة كتاب الله؛ وإنما فعل زيد ما فعل زيادة في التحري والتثبت من خلال

(48) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

جمع العينات التي كتبت في حضرة النبي ﷺ بعينها ومقارنتها بالمحفوظ في الصدور.

«فقال الصديق لعمر بن الخطاب، ولزيد بن ثابت: اقعدا علىٰ باب المسجد، فمن جاءكم بشاهدين علىٰ شيء من كتاب الله فاكتباه»(49)؛ قال السخاوي: «ومعنىٰ هذا الحديث، والله أعلم: من جاءكم بشاهدين علىٰ شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ»(50).

وأما الأمر الثاني: فقد شارك زيداً كثيرٌ من الصحابة رضي الله عنهم علىٰ رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مهمة جمع القرآن. ثم إنّ المهمة التي كُلِّفَ بها زيد كانت تحت مرأىٰ ومسمع الصحابة جميعاً بدلالة الحديث السابق ذكره (فقال الصديق لعمر بن الخطاب، ولزيد بن ثابت: اقعدا علىٰ باب المسجد، فمن جاءكم بشاهدين علىٰ شيء من كتاب الله فاكتباه)، فزيد كان رئيسا للجنة جمع القرآن، يشاركه كثير من الصحابة في ذلك.

المسألة الرابعة: حديثه عن النسخة التي جمعها زيد رضي الله عنه.

يقول: «وإذْ حُررت مخطوطة الْقُرْآن علىٰ هذا النّحو، فإنّها سُلمت لحفصة، إحدىٰ أرامل الْنَّبِيّ، من أجل حفظها»(51).

(49) تفسير القرآن من الجامع، لابن وهب (3/ 28)، وهو مروي بإسناد حسن، من كلام عروة بن الزبير، كما قال ابن كثير، فضائل القرآن، لابن كثير (ص59)، وابن حجر، فتح الباري (9/ 14).

(50) جمال القراء وكمال الاقراء، السخاوي، (ص161).

(51) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

نقول: إن هذا الكلام من موير من أعظم الأدلة علىٰ الجهل وعدم التحري؛ فجميع النصوص الصحيحة تبيّن أن الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقيت عنده إلىٰ وفاته ثم انتقلت إلىٰ عمر رضي الله عنه خلافته ثم أودعت عند أمّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها. فالصحف لم تكن عندها ابتداء من لحظة جمعها «فكانت تلك الكتب عند أبي بكر حتىٰ توفي، ثم عند عمر حتىٰ توفي ثم عند حَفصة زوج النبي ﷺ»(52).

المسألة الخامسة: «**وقد بقيت النّصّ المعياريّ خلال عشر سنوات من خلافة عُمَر**»(53).

يتحدّث موير هنا عن حال الصحف التي جُمِعَ عليها القرآن في خلافة عمر رضي الله عنه وأنه لم يطرأ عليها تغيير ولا تبديل، وبقيت هي النص الذي يُرْجعُ عليه (النص المعياري) كما سمّاه موير.

ورداً علىٰ ما ذكره موير في النص السابق نقول: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يلزما الناس بهذا المصحف الذي تمّ جمعه؛ إذ لم تكن الغاية من جمعه هذا الأمر، علىٰ غير ما حصل في زمن عثمان رضي الله عنه عندما ألزم الناس بالمصاحف التي نسخها وأمرهم بترك كلّ ما يخالفها.

وعليه؛ فإنّ الناس في زمن الشيخين رضي الله عنهما استمروا علىٰ ما يعرفون من أوجه أداء القرآن لم يتركوا

(52) جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، (ص164).

(53) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

ذلك إلا عندما تم نسخ المصحف في زمن عثمان ﷺ، وأصبحت القراءة وفق الرسم العثماني.

ومن هنا لم تكن لصحف أبي بكر أثر في حياة الناس وواقعهم.

ولا شك أن حديث موير هذا فيه إيحاء أن الناس بعد زمن عمر خالفوا ما كانت عليه صحف أبي بكر، لذا فالمصحفُ بعد زمن عمر غيره قبل هذا الزمان.

وهذا أمر باطل كذلك لأن مما سجلته النصوص الصحيحة أن صحف أبي بكر كانت قاعدة عمل عثمان ﷺ في المصاحف.

المطلب الثالث: جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ.

سنتناول في هذا المطلب مغالطات موير عن جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ على شكل مسائل:

المسألة الأولى: بيانه أن عملَ عثمان ﷺ في المصاحف، هو إعادة تنقيح لصحف أبي بكر الصديق ﷺ بسبب ظهور نسخٍ قرآنية متفاوتة فيما بينها.

يقول: «بيد أنَّ تفاوتـًا مختلف الدرّجات دبّ في نسخ عديدة من هذا الجمع، فاقتنع الخليفةُ عثمان بضرورة تطبيق معالجة واضحة. فعين زيداً لتنقيح عمله السّابق»[54].

يحمل هذا الكلامُ مغالطاتٍ متعددة نبينها بالآتي:

أولاً: لم يكن للجمع الأول نُسَخٌ متعددة بل كانت هناك نسخة واحدة مجمع عليها من الصحابة الكرام، وهذا أمرٌ بينته الروايات الصحيحة المتحدثة عن الجمع في عهدي أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان ﷺ إذ جاء في الروايات أن أبا بكر جمع القرآن في صحف، وأنها بقيت عنده خلافته ثم عند عمر خلافته ثم عند أمّ المؤمنين حفصة، وهي الصحف التي طلبها عثمان عندما أراد أن ينسخ المصحف، فلو كان هناك جمع لنسخٍ متعددة زمن أبي بكر الصديق لما كان لتوارث هذه الصحف أو لطلب عثمان إياها من حفصة ميزة على غيرها من النسخ المتعددة[55].

كما أنّ الصحابة لم يتخذوا نسخًا متعددة من صحف أبي بكر؛ وذلك لأنّ أبا بكر ﷺ لم يلزم الناس بها، فبقي الناس يقرؤون على ما عُلِّموا. من هنا كان التفاوت بين الصحابة في الملفوظ لا في المكتوب، فضلا على أنّ الحلّ الذي أراد عثمان القيام به لقطع دابر الفتنة، والقضاء عليها لم يتجه إلى نسخة أبي بكر تنقيحـًا وتمحيصـًا بل نجد عثمان ﷺ اتخذ من صحف أبي بكر قاعدة ثابتة ومرجعا أساسيا في إنهاء الاختلاف.

فزيدٌ لم يأت لينقح ما فعل، بل لتدارك أمر طارئ لا علاقة له بالجمع الأول.

---

(54) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

(55) سبقت الإشارة إلى هذه الروايات وتخريجها عند الحديث عن جمع أبي بكر الصديق ﷺ.

ثانيـًا: بيَّنَ العلماءُ الباعثَ الأساسَ لجَمْعِ القرآن في عهـد عثمـان ﷺ وذكـروا أنـه مـن أجـل «اسـتدراك اختلاف القـراء في وجـوه قـراءة القـرآن الكـريم وتخطئـة بعضهم بعضـًا، بل وصل الأمـر - أحيانـًا - إلىٰ تكفير بعـضهم بعـضا، فـأراد عثمـان ﷺ جمـع الأمـة علـىٰ مـصحف موحـد مجمـع عليـه»[56]، والروايـة الـصحيحة تبيّن ذلك فقد أخرج ابن أبي داود بسنده: قال: قـال ابـن شهاب: ثم أخبرني أنس بن مالك الأنصاري، أنه اجتمع لغزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق، قال: فتذاكروا القرآن فاختلفوا فيه حتىٰ كاد يكون بينهم فتنـة، قال: فركب حذيفة بن اليمان لما رأىٰ من اختلافهم في القـرآن إلـىٰ عثمـان، فقـال: «إن النـاس قـد اختلفـوا في القرآن حتىٰ والله لأخشىٰ أن يـصيبهم مـا أصـاب اليهـود والنصارىٰ من الاختلاف قال: ففزع لذلك عثمـان فزعـا شديدا، فأرسل إلىٰ حفـصة، فاسـتخرج الـصحيفة التـي كان أبو بكر أمر زيدا بجمعها، فنسخ منها مصاحف»[57].

فكانت غايته توحيـد الأمـة، وأن «يقتـصر النـاس علىٰ تلاوته علىٰ اللفظ الذي كتب بأمر النبي ﷺ، ولا يتعدوه إلىٰ غيره من القـراءات التـي كانـت مباحـة لهـم، المنافية لخط المصحف مـن الزيـادة والنقـصان وإبـدال الألفاظ»[58].

المسألة الثانية: حديث موير عـن الباعـث لجمـع القـرآن في عهد عثمان، ودور اللجنة المكلفة في حل الإشكال.

يقـول: «وكانـت الاختلافـات بـشكل رئـيس في اللّهجـة والعبـارة، ولهـذا سُـميَّت مجموعـة مـن ثلاثـة قُرَشِيّين ثقةٍ للعب دور قضاة نهائيين في القضية»[59].

ونجيبُ عن ما ذكره موير بالآتي:

أولاً: إنّ الاخـتلاف الحاصـل بـين الأمـة كـان في كيفيـة أداء الألفـاظ القرآنيـة، لا في بِنْيـة الـنص القـرآني تغييراً وتبديلاً.

مـن هنـا كـان تكليـف عثمـان لزيـد والـرهط القرشيين بنسخ صـحف أبـي بكـر في المـصاحف لـيس بسبب الاختلاف في ذات النص القرآني؛ إذ الـنص ثابـت لا مرية فيه.

وإنمـا كـان تكليـفهم مـن أجـل إيجـاد مـصاحف متحدةً في رسمها[60] تتفق الأمة عليها، وهذا ما صرّح بـه

(56) جمـع القـرآن الكـريم في عهـد الخلفـاء الراشـدين، الـسندي، (ص32).

(57) تـاريخ المدينـة، لابـن شـبة (3/ 992)، وينظـر: الجـامع الصحيح، البخاري، كتاب فضائل القـرآن، بـاب جمـع القـرآن (4987)، (6/ 226).

(58) المرشد الوجيز إلىٰ علوم تتعلـق بالكتـاب العزيـز، أبـو شـامة، (ص71).

(59) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

(60) كانـت المـصاحف العثمانيـة متحـدة في رسـمها إلا مواضـع معدودة لا تتجاوز (70) موضعا وُزّعـت علـىٰ المـصاحف،=

لئلا يتأوّل متأول كموير وأمثاله ما شاء، فقال لهم: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك»[61].

ومن هذا يُعْلم كذلك أنّ دور اللجنة المكلفة هو النسخ فقط دون أن يكون لهم دور في حذف أو إثبات شيء من القرآن كما ادّعىٰ (موير) بقوله: «ولهذا سُميَّت مجموعة من ثلاثة قُرَشِيّين ثقةٍ للعب دور قضاة نهائيين في القضية».

ثانيـًا: نقول: إنّ المجموعة التي كلّفها عثمان برئاسة زيد لهذه المهمة كانت موضع ثقة عند الأمة كلها، وممّا يدل علىٰ هذه الثقة أنّ الأمة قد رضيت وقبلت ما قام به هؤلاء من عمل في المصاحف، وقبول الأمة هذا يدل علىٰ أنّ عمل هذه المجموعة لم يكن خارجا علىٰ ما هو بين أيديها.

كما نقول أيضا: إن اختيار الرهط القرشيين الثلاثة لم يكن تحيزا ولا موالاة للغة قريش علىٰ ما سواها بل لأن القرآن نزل بلغة قريش قبل الإذن بالأحرف السبعة.

ثم استمرّ نزوله بها وبغيرها من الأحرف، وبسبب نزول الأحرف السبعة تعددت طرق الأداء اللفظي لآيات القرآن، وهو أمرٌ أدركه المسلمون وعاشوه واقعا منذ زمن النبي ﷺ يقول أبو شامة: «فلما ولي عثمان وكثر المسلمون وانتشروا في البلاد وخيف عليهم الفساد من اختلافهم في قراءاتهم لاختلاف لغاتهم حملهم عثمان علىٰ ذلك اللفظ الذي جمعه زيد في زمن أبي بكر، وبقي ما عداه ليجمع الناس علىٰ قراءة القرآن علىٰ وفق ما نزل علىٰ محمد ﷺ، ولا يكثر فيه التصرف، فيتفاحش تغيره، وتنمحق ألفاظه المنزلة»[62].

المسألة الثالثة: بيان موير أن عثمان رضي الله عنه قام بجمع جديد للقرآن الكريم.

يقول: «فبُحث عن مختلف القراءات في جميع أقاليم الإمبراطورية، حيث تم الجمع الجديد في صيغة لغة قُرَيْش الصّافية الَّتي كان مُحَمَّد يتلو بها وحيَه. وضوعفت النسخ، وأرسلت إِلَىٰ المدن الرئيسة بوصفها المراجع الميعاريّة. وجُمعت كلُّ النّسخ السّابقة، وأُحرقت»[63].

ونردُّ علىٰ ما جاء في هذا النص بالآتي:

أولاً: إنّ من المقرر عند علماء الأمة أنّ عمل عثمان رضي الله عنه في المصاحف لم يكن جمعـًا جديداً، وإنّما

=ينظر: المصاحف، ابن أبي داود، (ص150) وما بعدها.

(61) الجامع الصحيح، البخاري، كتاب المناقب، باب نزل القرآن بلسان قريش، حديث (3506)، (4/ 219).

(62) المرشد الوجيز إلىٰ علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي، (ص70).

(63) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

هو (نسخٌ) لصحف أبي بكر في مصاحف متعددة. وإنّ القول بأنّ عمل عثمان كان جمعـًا جديداً فيه إيحاءٌ بوقوع تغيير وتبديل وتنقيح في القرآن الكريم.

بناءً علىٰ هذا نقول: إن عثمان لم يكلّف زيدا ومن معه بتتبع القراءات في الأمصار والأقاليم كما ذكر (موير) بل كلّفهم بنسخ صحف أبي بكر كما ورد في الرواية الصحيحة (فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَىٰ حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وزَيْد بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّىٰ إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَىٰ حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَىٰ كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا).

وهذا نصٌّ في بيان المهمة التي نفّذها عثمان ومن معه ﭫ.

ثانيـًا: إنّ نسخ المصاحف وكتابتها كان علىٰ وفق ما اعتادته قريش في كتابتها ورسمها للكلمات، لا علىٰ وفق قراءتها وأدائها، فالرسم العثماني كان يحتمل عدة أحرف غير حرف قريش، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإن كثيرا من لغات العرب كانت تقترب من لغة قريش صفاءً وفصاحة.

ثالثـًا: قوله: (ضوعفت النسخ). قلنا سابقـًا: لم تكن هناك عدة نسخ رسمية، فالنسخة الوحيدة الرسمية هي التي جمعت علىٰ عهد الصديق وحفظت عنده لكونه الخليفة ثم عند عمر للسبب ذاته ثم عند أم المؤمنين حفصة لأنها أم للمؤمنين، ولتأخر اختيار الخليفة بعد عمر؛ حيث كان هناك مجلس للشورىٰ تأخر في حسم أمر الخليفة بعد عمر ﭬ، وهذه النسخة هي التي نسخ منها عدة نسخ في عهد عثمان لتوزع علىٰ الأمصار.

رابعـًا: إنّ النسخ التي أحرقت هي النسخ الفردية (مصاحف الصحابة) التي كتبها أصحابها دون إذن رسمي ولا مجال للتحقق منها جميعـًا، فضلاً علىٰ كون بقائها قد يؤدي إلىٰ خلل مستقبلاً عند موت أصحابها؛ إذ بعضها كان يحوي القرآن وغيره من أحداث السيرة كمصحف أُبي، وبعضها كان يحوي تفسيراً يسيراً كمصحف ابن مسعود، وبعضها كان مرتبـًا بصورة مغايرة للترتيب المصحفي كمصحف علي ﭫ جميعـًا[64]، وما إلىٰ ذلك.

وهذا الذي فعله عثمان كان بموافقة الصحابة وإجماعهم عليه. يدل علىٰ ذلك قولُ عليٍّ ﭬ: «لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فو الله ما فعل الذي فعل في

(64) ينظر: كتاب المصاحف، لابن أبي داود، وكتاب المصاحف المنسوبة للصحابة والرد علىٰ الشبهات المثارة حولها: عرض ودراسة، محمد بن عبدالرحمن الطاسان.

المصاحف إلا عن ملأ منا. قال: ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذه يكاد يكون كفراً، قلنا: فما ترىٰ؟ قال: أرىٰ أن يجمع الناس علىٰ مصحف واحد. قال: لا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت»[65].

وروي أنّه ﷺ قال: «لو وليّت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان»[66].

ونقل أبو شامة عن البيهقي في جمع عثمان: «وذلك كله بمشورة من حضرة من علماء الصحابة ﷺ، وارتضاه علي بن أبي طالب ﷺ، وحمد أثره فيه»[67].

وهكذا استطاع عثمان بن عفان ﷺ بهذا العمل الجبار أن يزيل جذور الخلاف، ويجمع الأمة عبر كل العصور – منذ عهد الصحابة ﷺ وحتىٰ عصرنا الحاضر – علىٰ التزام المصحف الذي أجمعوا عليه، وحمد له المسلمون ذلك العمل. قال الزركشي: «ولقد وفق لأمر عظيم، ورفع الاختلاف، وجمع الكلمة، وأراح الأمة»[68].

المسألة الرابعة: حديث موير عن نشأة القراءات القرآنية وعلاقة ذلك بعمل عثمان ﷺ.

يقول: «إنَّ تنقيح زيد تداولته الأيدي بثباتٍ. والتزم به بحرص شديد، وبهذا ليس ثمّة إلاّ قرآنٌ، ونفس الْقُرْآن قيد التداول في تخوم العالم المُحَمَّديّ الواسع. وإنَّ القراءات المختلفة غير معروفة تقريباً. وقد انحصرت الاختلافات القليلة في صيغ أحرف الصّوت والنّقاط اللّهجوية، والَّتي قد اخترعت في عهدٍ لاحقٍ، ولا تشكّل جزءاً من الأصل، أو من تدوين زيدٍ»[69].

اشتمل النص علىٰ زيوفٍ كثيرة، نبينها بالآتي:

أولاً: تأكيده أنّ ما قام به زيد ﷺ في زمن عثمان ﷺ هو تنقيح لعمله السابق في زمن أبي بكر ﷺ. وهي قضية عرضنا لها سابقا، وبينا أنها قضية باطله لا يؤيدها عقل صحيح أو نقل صريح.

ثانياً: يذكر موير أن القراءات القرآنية لم تكن معروفة قبل جمع عثمان ﷺ وردّا عليه نقول: كلام

(65) ينظر: المصاحف، ابن أبي داود، (ص176-177)، فتح الباري، ابن حجر، (9/ 18). وقال: بإسناد صحيح. والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (1/ 210)، قال السيوطي: وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سُوِيدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: لَا تَقُولُوا فِي عُثْمَانَ إِلَّا خَيْرًا فَوَاللهِ مَا فَعَلَ الَّذِي فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنَّا.

(66) ينظر: المصاحف، ابن أبي داود، (ص177)، وقال محقق الكتاب: إسناده ضعيف لوجود رجل مبهم في الإسناد.

(67) المرشد الوجيز، أبو شامة المقدسي، (ص62)، وينظر: السنن الكبرىٰ، البيهقي، (2/ 41، 42).

(68) البرهان في علوم القرآن (1/ 239).

(69) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

موير هذا فيه تجاهل للحقائق التي جاءت بها الآثار الكثيرة التي تبين اختلاف الصحابة فيما بينهم في أداء الألفاظ القرآنية.

فالقراءات القرآنية كانت معروفة من عهد النبي ﷺ، فهي ممّا أوحاه الله ﷻ إلىٰ رسوله ﷺ ومن الأدلة علىٰ ذلك ما روي عن عمر ﷺ قال: «سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان علىٰ غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتىٰ انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ علىٰ غير ما أقرأتنيها، فقال لي: (أرسله)، ثم قال له: (اقرأ)، فقرأ، قال: (هكذا أنزلت)، ثم قال لي: (اقرأ)، فقرأت، فقال: (هكذا أنزلت إن القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف، فاقرءوا منه ما تيسر)»[70].

فالقرآن نزل علىٰ سبعة أحرف، وأوجه الأداء المتلو بها كلها منقولة عن رسول الله ﷺ، ولا يحل لأحد شرعا أن يقرأ بغير ما روي عن النبي ﷺ فالقراءة سنة متبعة. فإذا كان النبي ﷺ الموحىٰ إليه مأمورا شرعا أن يقرأ اتباعا لا ابتداعا فكيف بمن بعده؟ قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: 18) ففي الآية الكريمة دليل قطعي علىٰ أن لتلاوة القرآن كيفية خاصة في الأداء لا يجوز تجاوزها. إذ منطوق الآية دال علىٰ وجوب الاتباع دون أن يكون للنبي ﷺ دور في ذلك إلا التلقي. فهذه الآية: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: 18) دليل عظيم علىٰ أن للتلاوة كيفية خاصة واجبة الاتباع.

قال أبو عمرو الداني: «وجملة ما نعتقده من هذا الباب وغيره من إنزال القرآن وكتابته وجمعه وتأليفه وقراءته ووجوهه ونذهب إليه، ونختاره أن القرآن منزل علىٰ سبعة أحرف كلها شاف كاف وحقٌّ وصواب، وأن الله تعالىٰ قد خيّر القراء في جميعها وصوّبهم إذا قرؤوا بشيء منها، وأن هذه الأحرف السبعة المختلف معانيها تارة وألفاظها تارة مع اتفاق المعنىٰ ليس فيها تضاد ولا تناف للمعنىٰ، ولا إحالة ولا فساد. وأنا لا ندري حقيقة أيّ هذه السبعة الأحرف كان آخر العرض أو آخر العرض كان ببعضها دون جميعها، وأن جميع هذه السبعة أحرف قد كانت ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطتها الأمة علىٰ اختلافها عنه، وتلقتها منه ولم يكن شيء منها مشكوكا فيه ولا مرتابا به»[71].

ثالثاً: ومن الأمور التي تدلُّ علىٰ جهل موير بالقراءات القرآنية قوله: إنّ الاختلافات في القراءات والأحرف كانت محصورةً في صيغ أحرف الصوت

(70) الجامع الصحيح، البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، (ح2419)، (3/ 160).

(71) الأحرف السبعة للقرآن، الداني، (ص60).

والنقاط اللهجوية. فهذا ادّعاء باطل وجهل بطبيعة الاختلاف الواقع بين القراءات.

وقد أوضح الإمام ابن الجزري طبيعة الاختلاف بين القراءات القرآنية فقال: «وَقَدْ تَدَبَّرْنَا اخْتِلَافَ الْقِرَاءَاتِ كُلِّهَا فَوَجَدْنَاهَا لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: (أَحَدُهَا) اخْتِلَافُ اللَّفْظِ، وَالْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ، (الثَّانِي) اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، (الثَّالِثُ) اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ امْتِنَاعِ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَتَّفِقَانِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ لَا يَقْتَضِي التَّضَادَّ»[72]، وعلىٰ هذا فليس اختلاف القراءات القرآنية محصورا في الصورة اللفظية فحسب دون أن يكون هناك أثر لهذا الاختلاف في المعاني، بل هناك مواضع كثيرة في كتاب الله ﷻ كان الاختلاف فيها مؤثّرا في المعنىٰ.

رابعـًا: يقول موير: «وقد انحصرت الاختلافات القليلة في صيغ أحرف الصّوت والنّقاط اللّهجوية، والَّتي قد اخترعت في عهدٍ لاحقٍ، ولا تشكّل جزءاً من الأصل، أو من تدوين زيدٍ».

يزعم موير هنا بأن القراءات اخترعت في زمن متأخر عن زمن عثمان، كما يتضمّن كلامه تلميحـًا إلىٰ أنّ نشأة القراءات بسبب احتمال الرسم – غير المنقوط – لأكثر من احتمال.

وقد رددنا علىٰ الجزء الأول من كلامه بما ذكرناه من وجود القراءات القرآنية في زمن النبي ﷺ.

وأما الجزء الثاني من كلامه المتضمن الإشارة إلىٰ أنّ الاختلاف بين القراءات ناشئ عن الرسم؛ وذلك أن خلو رسم المصحف من النقط والشكل بالإضافة إلىٰ ما في رسم المصحف من حذف وزيادة وإبدال، هو الذي جعل القراء يختلفون فيما بينهم، فمنهم من يقرأ (فتبينوا) ومنهم من يقرأ (فتثبتوا) وغير ذلك، وهذه الشبهة باطلة للأمور الآتية:

1- هذه الشبهة الباطلة يكذبها الواقع، وذلك أن هناك كلمات كثيرة جداً لو كان المرجع في اختلاف القراءات إلىٰ الرسم لاختلفوا فيها ولكنك تجدهم متفقين علىٰ قراءتها بوجه واحد رغم احتمال رسمها لأكثر من قراءة.

2- لو تتبعنا أسانيد القراءات كلها لوجدناها تصل إلىٰ رسول الله ﷺ، فكل قارئ يقرأ وفق ما تلقاه من شيخه حتىٰ يصل الإسناد إلىٰ رسول الله ﷺ، فمرجع الاختلاف إذاً ليس الاعتماد علىٰ الرسم وإنما علىٰ التلقي والمشافهة. ولما كتب عثمان المصاحف أرسل مع كل مصحف قارئـًا ليقرئ الناس.

3- لو جاز استخراج القراءات المختلفة من الرسم لما احتاج أن يرسل مع كل مصحف قارئـًا

(72) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (1/ 45). الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، الخرّاط، (ص9).

معلماً.

4- لو كان خلو المصاحف من الشكل والنقاط هو السبب في تنوع القراءات واختلافها لكانت كل قراءة يحتملها رسم المصحف صحيحة معتبرة قرآنًا، وواقع الأمر ليس كذلك، إذ إن القراءات القرآنية من جهة قبولها تنقسم إلىٰ أقسام؛ فهناك القراءات المقبولة، وهناك القراءات المردودة، وهذا التقسيم الذي اعتمده أرباب هذا العلم يدلل علىٰ أن أي قراءة لا يُعتد بها، ولا تعتبر قرآنًا إلا إذا توفرت فيها شروط القبول الثلاثة[73].

المسألة الخامسة: يقول (موير): «وثمّة ضمان كبير بأنّ عملَ زيدٍ أُنجز بإخلاصٍ؛ وبالفعل، فإنَّ قبولَ الْقُرْآنِ من قِبل عليٍّ وشيعته، أعداءِ عثمانَ العاثر الحظ هو الضمان الأوثق علىٰ أصالته»[74].

إن هذا إلا اختلاق، من قال له إن عليا عدو لعثمان، فقد ورد عنه ما يؤكد رضاه بصنيع عثمان رضي الله عنهما، «عن سويد بن غفلة أنه قال: «والله لا أحدثكم إلاّ شيئًا سمعته من علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعته يقول: «يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلاّ خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلاّ عن ملأ منا جميعـًا». ثم قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل»[75].

المسألة السادسة: حديث موير أن جمع عثمان اشتمل علىٰ آيات منسوخة، وأن السبب في إدراجها في القرآن يعود لأمرين: الأول: توقير المسلمين الشديد للوحي في بدايته مما جعلهم يستودعون ذاكرتهم كل شيء منه وإن كان منسوخا.

الثاني: العجلةُ والسرعةُ التي اعترت عمل زيد فجعلته يدخل في القرآن ما ليس منه. يقول موير: «ومن الممكن أن بعضـًا من الأجزاء الأبكر القصيرة الأجل، والَّتي تلاها مُحَمَّدٌ قد هُجرت قبل موته، وعلىٰ هذا فإنّها بقيت خارج الجمع؛ لكنَّ التوقير الورع الَّذي نظرَ من خلاله مجموع المسلمين في البدء إِلَىٰ الوحي علىٰ أنه كلمة اللّه، والتقوىٰ الَّتي استودعته الذّاكرة، والمعطيات بأنَّ النسخ وُجدت حتىٰ في عهد رسالة مُحَمَّد المبكرة، وحقيقة أنَّ جمعَ زيدٍ خرج بسرعة وبشكلٍ غير مفندٍ»[76].

تحوي هذه الفقرة مغالطات عديدة:

أولاً: يدعي أن السور التي نزلت في بداية البعثة

(73) ينظر: القراءات: أحكامها ومصادرها، شعبان إسماعيل، (رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة) سلسلة دعوة الحق، 1402هـ. وينظر: مقدمات في علم القراءات، القضاة، محمد أحمد وآخرون، (ص225).

(74) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

(75) رويت بسند صحيح، سبق تخريج الرواية والحجم عليها في الهامشين رقم: (63، 64).

(76) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

قد هجرت ولم يعد لها قيمة فضلا علىٰ كونها لم تدخل الجمع القرآني، وهذا هو الاختلاق بعينه فقد ثبت اهتمام المسلمين في كل مراحل التاريخ بأول ما نزل من القرآن بل إن علماء علوم القرآن قد نصوا علىٰ أول ما نزل ومحّصوا الروايات الواردة في ذلك، فإن كانوا قد ميزوا أول ما نزل وناقشوا ما ورد في ذلك من روايات فهم قطعا لم يغفلوا الأبكر قطعا، فضلا علىٰ كون هذا الادعاء تابعا لما قد ذكره ابتداء من كون القرآن من تأليف رسول الله ﷺ ومن كونه تابعـًا لوضع الرسول يتطور بتطوره ويتغير بحسب البيئة المحيطة.

ثانيـًا: يطعن بتوقير المسلمين لكتابهم وهذا ما لا يدعيه عاقل؛ فإن كان هو يوقر كتابا وضعه الناس نقلا عن روايات الحواريين دون أن ينسب منه شيء إلىٰ عيسىٰ عليه السلام فماذا يريد ممن يعتقد اعتقادا لا يخالطه شك أن القرآن من لدن حكيم خبير؟

ثالثـًا: ما الدليل علىٰ كون جمع زيد خرج بسرعة وبشكل غير مفند، بل ثبت أنه رضي الله عنه بقي فترة ليست بالقليلة مع عمر بن الخطاب يجلسان في المسجد حتىٰ يتأكدا من كون النص المجموع هو عينه الذي خط علىٰ عهد رسول الله، وفي عهد عثمان كان الأمر نسخا لما ثبت فلا يحتاج كبير عناء!

المسألة السابعة: يختم موير كلامه بالتأكيد علىٰ أنّ القرآن من عند النبي ﷺ يقول موير: «إنَّ كلَّ ذلك لا يترك شكـًّا في الذّهن بأنَّ الْقُرْآن الَّذي نقرأه اليوم يحتوي علىٰ نفس الكلمات الَّتي ألقاها النَّبيّ»[77].

الكلمات لم يلقها النبي ﷺ بل هي وحي من عند الله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: 3-4)، ولكن موير لا يمل من تكرار فكرته الأولىٰ أن القرآن جهد بشري وهو من تأليف محمد ﷺ مما يؤكد عدم إذعانه للحق أيا كان دليله، مع نبذ للموضوعية في الفكر أملاه عليه حقد ملأ نفسه.

***

الخاتمة

بعد هذا العرض لأفكار موير، وآرائه حول مسألة جمع القرآن في عهوده الثلاثة، ونقدها نقداً علميـًا، خلصت الدراسة إلىٰ جملة من النتائج، نجملها بالنقاط الآتية:

1- أوضحت الدراسة أن سبب عناية المستشرقين بالكتابة في موضوع تاريخ القرآن، هو محاولة زعزعة ثقة المسلمين بالقرآن الكريم.

2- لم يخرج موير عن موقف جل المستشرقين من النص القرآني إذ حكم بعدم وضوح القرآن، وقلة شأنه بين الكتب السماوية الأخرىٰ؛ فرأىٰ أنه من تأليف محمد ﷺ؛ فهو جهد بشري، لمصلح اجتماعي،

(77) القرآن نظمه وتعاليمه، موير، (ص27).

حاول الإفادة من كتب العهد القديم. وكذلك طعن في ترابط القرآن، ووسمه بالتفكيك الذي يحول دون فهم القرآن إلا بمعرفة سيرة مؤلفه، وترتيبه ترتيبا آخر يراعىٰ فيه الزمن.

3- تتجلىٰ خطورة ما جاء به موير خوضه حرباً فكرية وتبشيرية ضد الإسلام بمنهج متحايل، مؤسِساً لمنهج فريد من نوعه، قائم علىٰ اعتماد الثغرات المنهجية لمصنفي كتب السير، بغية إحداث حالة من الإرباك الفكري والعقدي لصورة الإسلام ونبيه ﷺ في أذهان المسلمين، ومن ثم تشويهها، باستخدام لغة أقل حدة، ونبرة أقل وطئاً من تلك التي سادت في القرون الوسطىٰ.

4- بينت الدراسة بالأسلوب العلمي، والدليل الواضح، البناء الهش، والأسس الواهية، التي أقام عليها وليام موير شبهاته حول جمع القرآن.

5- تولت الدراسة إبطال مغالطات موير حول جمع القرآن، وأبرزها:

ما يتصل بنفيه جمع القرآن في كتاب واحد في عهد ﷺ، وحديثه عن كتابة القرآن وأدواتها، وعن ترتيب الآيات والسور، وعن وجود سور قرآنية مميزة لأجل القراءة الخاصة في ذلك العهد.

ثم ما أتىٰ به من دعاوىٰ في جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ في حديثه عن حال القرآن عند وفاة النّبيّ ﷺ، وعن الأسباب الدافعة إلىٰ الجمع، وعن طريقة زيد ﷺ في جمع القرآن، والنسخة التي جمعها.

وكذلك ما أورده من افتراءات حول جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان ﷺ ببيان أن عمله في المصاحف، هو إعادة تنقيح لصحف أبي بكر الصديق ﷺ بسبب ظهور نسخ قرآنية متفاوتة فيما بينها. وما ذكره عن الباعث للجمع في ذلك العهد، ودور اللجنة المكلفة في حل الإشكال، وأنه ﷺ قام بجمع جديد للقرآن الكريم، وأنه اشتمل علىٰ آيات منسوخة، وكذلك حديثه عن نشأة القراءات القرآنية وصلة ذلك بعمل عثمان ﷺ.

6- للتعصب المقيت، والحقد العظيم، تأثير كبير علىٰ آراء (وليام موير) في دراسته لجمع القرآن؛ مما أفقده الإنصاف في جوانب كثيرة.

7- إن المنهج الذي كان مسيطراً علىٰ آراء موير حول جمع القرآن هو المنهج الإسقاطي[78].

(78) الإسقاط: حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه وعيوبه المستكرهة، وخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها إلىٰ غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار أو سوء الطالع؛ وذلك تنزيها لنفسه، وتخففا مما يشعر به من القلق، أو الخجل، أو النقص، أو الذنب. ينظر: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، لشوقي أبو خليل (ص15).

8- أكدت الدراسة سلامة القرآن من أي شبهة، وأن القرآن قد حظي بعناية فائقة، لم يحظ بها كتاب علىٰ مر التاريخ.

التوصيات:

نوصي بتناول بقية شبه المستشرق وليم موير حول قضايا علوم القرآن بدراسة معمقة مستقلة لكل مسألة.

***

قائمة المصادر والمراجع

أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ. علال، خالد كبير علال. د.ط، الجزائر: دار المحتسب، 2008م.

الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تحقيق: أحمد بن علي. د.ط، القاهرة: دار الحديث، 1427هـ.

الأحرف السبعة للقرآن. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. تحقيق: عبد المهيمن طحان، ط1، مكة المكرمة: مكتبة المنارة، 1408هـ.

آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن، دراسة نقدية. نصري، أحمد. ط1، بيروت: دار القلم، 2009م.

الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين. أبو خليل، شوقي. د.ط، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1998م.

الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة. الخرّاط، أحمد محمد. د.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ.

إعجاز القرآن الكريم. الباقلاني، أبو بكر. تحقيق: سيد صقر. د.ط، بيروت: دار المعارف، د.ت.

الأعلام. الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي. د.ط، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.

البرهان في علوم القرآن. الزركشي، بدر الدين. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1376هـ.

ترتيب سور القرآن. دراسة تحليلية لأقوال العلماء. طه، عابدين طه. بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية، بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد 9، السنة 5، 6.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. شرح وتعليق: د. مصطفىٰ ديب. ط1، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ.

جمال القراء وكمال الاقراء. السخاوي، علي بن محمد الهمذاني أبو الحسن. تحقيق: مروان عطية، حسن خرابة. د.ط، دمشق، بيروت: دار المأمون للتراث، 1997م.

جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين. السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور. د.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ت.

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام. السهيلي، أبو القاسم، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن قيم الجوزية. د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر، أحمد بن علي

العسقلاني، تصحيح وإخراج وإشراف: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، علق عليه: عبد العزيز بن باز. د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

فضائل القرآن. ابن سلام، أبو عبد الله القاسم بن سلام البغدادي. تحقيق: مروان العطية، وآخرون. ط1، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، 1995م.

القراءات: أحكامها ومصادرها. شعبان محمد إسماعيل، د.ط، مكة: رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة – سلسلة دعوة الحق، 1402هـ.

القرآن نظمه وتعاليمه وشهدته للكتب المقدسة. موير، ترجمة: مالك المسلماني، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

المدخل لدراسة القرآن الكريم. محمد أبو شهبة، ط2، القاهرة: مكتبة السنة، 2003م.

المرشد الوجيز إلىٰ علوم تتعلق بالكتاب العزيز. أبو شامة المقدسي، شهاب الدين بن عبد الرحمن. تحقيق: طيار آلتي قولا. د.ط، بيروت: دار صادر، 1975م.

المستدرك علىٰ الصحيحين. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م.

المستشرقون. العقيقي، نجيب. د.ط، مصر: دار المعارف، 1964م.

المصاحف. ابن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده. د.ط، مصر: الفاروق الحديثة، 2002م.

مصادر الشعر الجاهلي. الأسد، ناصر الدين. ط7، مصر: دار المعارف، 1988م.

مقدمات في علم القراءات. محمد أحمد القضاة، وآخرون. ط1، الأردن: دار عمار، 2001م.

مناهل العرفان في علوم القرآن. الزرقاني، محمد عبد العظيم. ط3، مصر: مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. المسيري، عبد الوهاب المسيري. ط1، مصر: دار الشروق، 1999م.

موسوعة المستشرقين. عبد الرحمن بدوي، د.ط، بيروت: دار العلم للملايين، 1993م.

موسوعة بيان الإسلام للرد علىٰ الشبهات والافتراءات. مجموعة من المؤلفين، (مج3، ج5)، د.ط، د.م: د.ن، د.ت.

النشر في القراءات العشر. ابن الجزري، محمد بن محمد. تحقيق: محمد علي الضباع. د.ط، القاهرة: المطبعة التجارية الكبرىٰ، تصوير دار الكتب العلمية، د.ت.

* * *